

خلفية موقف دارالعلوم من الشيخ محمد سعد،
والفتوى الصادرة منها ضده و ردُّ الشيخ محمد سعد
عليها وموقفُ بعض خريجي دارالعلوم المعارض
لفتواها

بقلم

المفتي خضر محمود القاسمي

خريج دارالعلوم / ديوبند

المؤلف في سطور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين:

لقد هيا الله تعالى لكاتب هذه السطور فرصة الاستفادة من الجامعة الأم: دارالعلوم/ ديوبند مدة تسع سنوات. وظل على صلة قوية بأساتذتها - صغارهم وكبارهم - على مدى هذه السنوات الطوال، والنهل من منهلهم العلمي الفياض، وبفضل الله تعالى ثم بدعاء هؤلاء النبلاء حظي كاتب هذه السطور بحصد المركز الأول في الاختبارات السنوية في عدة سنوات دراسية، ولم يفتئه -والفضل لله - سماع حديث من كتب الأحاديث التي تدرّس في الجامعة. وتستيقظ في الذاكرة الآن عشرات القصص من عناية هؤلاء العظماء، التي ترجع إلى هذه الحقبة من الزمان، مما يضيق المقام عن الإتيان عليها والتعرض لها.

لقد تيسرت لكاتب هذه السطور من فرصة زيارة الأساتذة؛ بل كبار علماء دارالعلوم/ ديوبند عن كثب، والانتهاج من منهلهم العذب الفرات ما لا يتوفر لغيره إلا ما شذ وندر. وما ذلك إلا فضل من الله تعالى وكرامة منه لكاتب هذه السطور. فلا أسمع كلمة سوء مفتراة عليهم إلا تألمت منه ألماً يعجز عن وصفه اللسان والقلم. وأعوذ بالله تعالى أن أفترى على أحدٍ كذباً میناً.

وكنت على صلة بجماعة الدعوة والتبليغ ونشاطاتها أيام التحصيل والدراسة، وخرجت معها حيناً بعد حين، واختلفتُ إلى مركزها بنظام الدين / دهلي، ثم خرجت لمدة سنة واحدة بعد أن أكملت دراستي العليا بقسم الإفتاء.

ونافلة القول أن كاتب هذه السطور على صلة بدارالعلوم / ديوبند، وجماعة الدعوة والتبليغ ونشاطاتها معاً، فقرأت تراجم كبار علماء الأولى كما لم يفتني الاطلاع على سير كبار عظماء الثانية.

موقف دارالعلوم من الشيخ محمد سعد

من الواضح وضوحاً كالشمس في رائعة النهار أن موقف دارالعلوم / ديوبند من الشيخ محمد سعد يتصف بالاعتدال والوسطية ويشكل تعبيراً صادقاً عن فكرة السلف الصالح، ورسالة بعيدة عن العواطف والاعتقاد، أعانت الآلاف؛ بل مئات الآلاف والملايين من البشر على البقاء على الفكر الصائب، والعقلية الواقعية، والاتجاه السديد، وكشفت ما تسرب إلى قلوبهم من الشبهات والريب، وهياً الله تعالى بذلك ما يحفظ هذا العمل العبقري من الضياع والخروج عن الجادة، الأمر الذي لا يخطر ببال. ويشكل هذا الموقف خطوةً تجديدية لعمل الدعوة التبليغ العبقري العظيم، ويُعتبر قولاً متفقاً عليه وقراراً إجماعياً توصل إليه فحول الأمة وعظماؤها تجاه العمل في مجال الدعوة.

علماء ديوبند والحفاظ على الدين

من الحقائق التي لا تجحد أن الله تعالى قيض علماء ديوبند لإرشاد الأمة الإسلامية وقيادتها والسير بها على الطريق الوسط خلال قرن ونصف فصاعداً، واختارهم لهذا العمل الجليل؛ فقد قام علماء ديوبند بصدع الحق من غير خوف ولا وجل في كل مرحلة خطيرة مرت بها الأمة الإسلامية. وجعلهم الله تعالى بنياناً مرصوفاً وحاجزاً من حديدٍ للحفاظ على قلعة دينه الحصينة، كما سخرهم الله تعالى لتمييز الحق من الباطل، ونفي الاجتهادات الخاطئة الباطلة المنقوضة الأساس، التي يتم ترويجها ونشرها في ستار من الدين، فحصحص الحق الأبلج، وتبين لكل ذي عينين وقلب سليم من هذه الأمة الإسلامية. ولقد زاد موقف كبار

علماء دارالعلوم/ ديوبند المتفق عليه من ثقة خريجيها- دارالعلوم- المتفرقين في العالم كله بعلماء دارالعلوم/ ديوبند وعظماؤها.

وضرب هذا الموقفُ مثلاً رائعاً ذهبياً على المساعي التي تبذلها دارالعلوم/ ديوبند في سبيل الحفاظ على الدين والصدع بالحق من جديد، مما رفع من مكانتها السامية في الأوساط العلمية، وبلورَ هذا الموقفُ من مرجعيتها وثقة الأمة الإسلامية بها، وذلك من الحقائق التي يعتبر إنكارها مكابرة ورفضاً لواقع الأمر. وذلك بفضل من الله تعالى وكرمه ومنه، ومن نتائج الإخلاص الذي كان عليه سلفنا وعظماؤنا وتمسكهم به بصورة ملموسة.

ثلاثة اقتباسات هامة من موقفهم:

1. "جماعة الدعوة والتبليغ جماعة دينية محضة، هيات أن تستمر مصنونة محفوظة إذا انحرفت عن جادة جمهور الأمة وعظماؤها مذهباً وعملاً. ولايسع علماء الحق أن يوافقوا على الإساءة إلى الأنبياء عليهم السلام، والانحرافات الفكرية، والتفسير بالرأي، وشرح الأحاديث وتفسيرها بما ينسجم مع إملاءات النفس ورغباتها. ويستحيل أن يسكتوا على ذلك؛ فإن هذه النظريات و الأفكار من شأنها أن تنحرف بالأمة الإسلامية برمتها عن جادة الحق والصواب، كما تعرض كثيرٌ من الجماعات الإصلاحية والدعوية لمثل ذلك في الماضي".
2. "تعتبر دارالعلوم/ ديوبند من واجبها الديني أن تُعرب عن موقفها المتفق عليه لأرباب المدارس، وأهل العلم، وأفراد الأمة الجادين، وذلك بهدف وقاية نشاطات وعمل جماعة الدعوة والتبليغ- التي أسسها كبار علماء دارالعلوم/ ديوبند- من شوب الأفكار الباطلة والنظريات الخاطئة؛ والذود عن مذهب ومشرّب كبار علمائها؛ والإبقاء على نفع هذه الجماعة وثقة علماء الحق بها. وندعو الله تعالى أن يحفظ هذه الجماعة من كل سوء ومكروه، ويكتب لنا المواصلة على الطريق الحق مذهباً وعملاً".
3. "كما نودُّ لفت انتباه الشخصيات المعتدلة ذات النفوذ في أوساط جماعة الدعوة والتبليغ و مسؤوليها البارزين إلى ضرورة العمل على استبقاء هذه الجماعة على ما دأب عليه جمهور الأمة ومسؤوليها الكبار السابقون من المذهب والمشرّب".

ولك أن تدرك- في ضوء هذه الاقتباسات الثلاثة السالفة الذكر- مدى ما يتمتع به مشايخ ديوبند من الوسطية في الفكر، وبعد النظر، وسعة الأفق، والوقوف على الحقائق

والأوضاع، و الشعور بالمسؤولية، واستحضار أحوال الماضي، والعواطف المخلصة للأمة الإسلامية والاحتراق على صيانة عقائدها وأعمالها.

أجَاهات بعض خريجي دارالعلوم المنافية لهذا الموقف

وبعد بروز هذا الموقف المعتدل من دارالعلوم وقَفَ - ولا يزال يقف - بعض خريجيها و الناهلين من منهلها والناشطين في مجال الدعوة والتبليغ ومن على منصتها مواقف تبعث على الأسف والتألم الشديدين، وما لا يليق بهم خلقاً ودينًا، ولا أستحسن الخوض في تفاصيل ذلك و التعرض للأحداث والواقعات، وإنما أرى من واجبي أن أقول: هؤلاء الخريجون - الذين لا يخفون على أساذة الجامعة، ولا على أمثالي - يسعون في الأرض لإقامة جبهة معادية، وتوهين موقف دارالعلوم/ ديوبند بصورة مستمرة. وأنا أعرف بعض الخريجين الناشطين في جماعة الدعوة والتبليغ و النازلين في ديوبند، الذين يعدّون كتابات عاطفية ذات صبغة سلبية وينشرونها في الناس، في محاولة للصيد في الماء الكدر، وتزوير للحقائق.

وأفادتني مصادر علمية خبيرة بأن هؤلاء الخريجين يردّون موقف دارالعلوم حين يجتمع بعضهم مع بعض، ويستدلون على خلافه، ويعتبرون هذا الموقف خطوة معادية لجماعة الدعوة و التبليغ على طول الخط، والهوى يُعمي ويصم. ويستشهدون على معارضة الجامعة لجماعة الدعوة بما طرق آذانهم من أقوال بعض أساتذتهم في الجامعة فيما يخص محاولة الإصلاح لبعض جوانب جماعة الدعوة والتبليغ. وبلغني أن بعض الشباب وصل بهم الأمر إلى الدعوة إلى المناظرة و التحدي.

كما بلغني أنهم يتظاهرون بأنهم ناصحون لدارالعلوم/ ديوبند ومخلصون لها حين يجتمعون بمن يتفق وموقف دارالعلوم/ ديوبند، وهذه الازدواجية في الموقف مما يؤذيني أشد الأذى.

وسمعت بعض الأساتذة يقول: إن بعضًا من هؤلاء الخريجين زاروا دارالعلوم للحيلولة دون صدور موقف دارالعلوم، وآخرون منهم وصلوا إليها حاملين رسالة من الشيخ محمد سلمان المظاهري حفظ الله، وقاموا - بعد ما أبدت دارالعلوم موقفها - بإرسال

الردود الكتابية عليه، و استخدموا بعض الخريجين في نشر الإشاعات والأكاذيب باعتبار هذه الردود الكتابية رجوعاً من الشيخ محمد سعد، وأقاموا العالم وأعدوه، وأعدوا ردوداً على موقف دارالعلوم وحملوها على الـ "واتس إب" في جانب، وفي جانب آخر هيؤوا أتباعهم تهيئةً فكريةً ضد دارالعلوم وأساتذتها. ومما يبعث على القلق الشديد أنهم استغلوا في ذلك بعض الطلاب الأحداث الأسنان، وأقاموهم في وجه أساتذتهم ومشايخهم، وقام هؤلاء بتنغيص جو دارالعلوم تنغيصاً حمل مسؤولي دارالعلوم على فرض الحظر على النشاطات الدعوية في رحاب الجامعة خوفاً من أن يحدث بين الطلاب ما لا يحمد عقباه، وأشد ما ألمني من ذلك قصتان فيما أعلم، وسبق أن قمت بزيارة لدارالعلوم العام الماضي، وعشت هذه الأوضاع والحالات، وسمعتها أذناي هاتان.

كما علمت أن بعض الخريجين هؤلاء أرسلوا خطابات بأسماء مستعارة إلى دارالعلوم/ ديوبند، وحملوها على مواقع التواصل الاجتماعي. وتُشعر مساعيمهم هذه بأنهم يصوبون أخطاء الشيخ محمد سعد، ولا يدري سببه المنطقي إلا الله تعالى. وأفدح ما تجرُّ مساعي هؤلاء الخريجين على الساحة من النتائج أن الناس انصرفت أذهانهم من الموضوع الأصل إلى أمور بعيدة عنه لاناقة لها ولاجل؛ فإن ترويج الأمور غير المعنية والخارجة عن الموضوع أنفذُ سهم يرميه الناسُ بصرف التوجهات والأنظار عن أصل الموضوع.

والحاصل أي أطلع - منذ شهر - على مساعي الخريجين هؤلاء، وأقرأها، ولا أختلف معهم شخصياً، معظمهم من أقرب زملائي، غير أنني لا أتفق معهم على الباطل أبداً. وأنا على إيمان بأن هؤلاء الخريجين يشكلون عقبةً كؤودةً في سبيل مساعي إصلاح ذات البين والتوفيق بين وجهات النظر المختلفة. وإن علمهم السطحي العابر وتأويلاتهم الباطلة المنقوضة الأساس مما ضرَّ الشيخ محمد سعد ونشاطات جماعة الدعوة والتبليغ ضرراً فادحاً.

كما أجد هذه المساعي السلبية بدأت تؤثر في الطلاب الأحداث الأسنان وتفضل فعلها فيهم. ورغبةً في بيان الحق وكشف اللثام عنه أعرض رأبي على أهل العلم والفضل، بعد أن بذلت شهوراً في التوصل إلى المعلومات والحقائق واستقصائها، وهو الأمر الذي دفعني إلى

الرحلة إلى دار العلوم / ديوبند قبل عدة شهور. وتحققتُ من الأمور بمواجهة أساتذة دارالعلوم / ديوبند، ولقيت بعض الخريجين أمثال هؤلاء. وكنت أعرب عن مخاوفي لهؤلاء العاملين في جماعة الدعوة والتبليغ والنازلين في ديوبند. وأحذرهم مغبةً اتجاههم السلبي هذا. وأخيراً:

أدعو الله تعالى أن يوفقني لبيان الحق، ويعفو عن التقصير في ذلك، وهذه السطور لاتستهدف أصلاً شخصيةً من الشخصيات أو الطعن فيها وليست تهجماً عليها، وإنما أتوخي من ورائها بيان الواقع بكل أمانة وإخلاص، وقد دأب سلفنا الصالح على التصدي للكتابة بأسلوب إيجابي.

وبعد ذلك كله أعتذر مسبقاً - إذا ما سببت هذه السطور أذى لأحد، راجياً أن يراجعني - بكل بساطة - كلُّ من أشكل عليه شيء مما ورد فيها.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واللهم إنا نعوذ بك من شرور أنفسنا، اللهم إنا نعوذ بك من شرور أنفسنا، اللهم إنا نعوذ بك من شرور أنفسنا. آمين يا رب العالمين.

مقال منسوب إلى الشيخ محمد سلمان المظاهري ودراسته دراسة موجزة

تم تحميل عدة مقالات على مواقع التواصل الاجتماعي في الشهور الأخيرة، ولكن رأيت التعليق عليها مضيعة للوقت باعتبارها مقالات غير جادة، قائمةً على العواطف والنيل من الشخصيات والتهجم عليها، ولاتتناول صميم الموضوع، ثم اطلعت على مقالة منشورة على مواقع التواصل الاجتماعي معزوة إلى الشيخ محمد سلمان المظاهري حفظه الله، في محاولة للرد على موقف دارالعلوم / ديوبند وتزييفه، ويوحي أسلوب المقالة إلى أنها قام بإعدادها أستاذان: أحدهما من جامعة مظاهر علوم / سهارن فور، والآخر من الجامعة العربية / هثورا، بمدينة باندو بمساعدة من علماء الدعوة والتبليغ، كما تشير إليه فاتحة المقالة، ونشرت مقالات أخرى أيضاً تزييف موقف دارالعلوم / ديوبند، وتشكك فيه، وتشتمل على اتهامات وطعون

في غير وجهها، فحدثتني نفسي بأنه يجب بيان الحق للأمة الإسلامية، وكشف الحقائق الخاصة بالموضوع.

ولست الآن بصدد التحليل والدراسة مفصلاً لهذه المقالة؛ وأكتفي بالقول بأن هذه المقالة تشي بالخيانة العلمية؛ بل يغلب الظن عليها، ونضرب أمثلة على ذلك فيما يلي، وسنقوم بدراسة هذه المقالة دراسة تفصيلية والرد عليها بمناسبة أخرى:

- قد ارتكبت المقالة خيانة علمية فاضحة حيث اعتبرت القول الصحيح الذي ذهب إليه المفسرون في قصة موسى عليه السلام - قولاً مرجوحاً، ويبدو أن أصحابها تعمدوا الإعراض عن بيان الحق والقول الصحيح، وقد بلغني عن بعض الفضلاء - بوساطة - قولهم: لا نعجز عن تأويل قول الشيخ محمد سعد في خصوص قصة موسى عليه السلام، والاستشهاد بالنصوص العربية على ذلك، ولكن مَنْ لنا بأقواله وخطباته الأخرى؟ وقد عمل الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي رسالة مفردة تتناول الموضوع، فمن أراد التحقق منه فليرجع إليها. ولسنا في حاجة إلى مزيد من القول هنا في ذلك.

- ذكروا في ردهم على موقف دارالعلوم / ديوبند الفرق بين وظيفة الولاية ووظيفة النبوة، ووردوا في ذلك نصّ التفسير المظهري، وارتكبوا في ذلك خيانة شنيعة لا يرتكبها إلا الفرق الضالة في عموم الأحوال، نسوق أولاً نص ردهم:

قالوا: مقتضى الولاية الاستغراق والتوجه إلى الله سبحانه، ومقتضى النبوة التوجه إلى الخلق. والتحقق ما حقق المجدد للألف الثاني رحمه الله: أن النبوة هي الأفضل من الولاية؛ بل التوجه إلى الخلق لما كان بإذن الله و على حسب أمره ومرضاته، فهو أيضاً في المعنى توجه إلى الله سبحانه.

ولنقرأ نص التفسير المظهري الذي شطبه في ردهم ليتسنى لهم الاستدلال بهذا

النص، وهو —————

”ومن هنا قال بعض الصوفية: الولاية أفضل من النبوة، وفسر هذا القول بأن ولاية النبي صلى الله

عليه وسلم أفضل من نبوته، قالوا: مقتضى الولاية الاستغراق والتوجه إلى الله سبحانه.... الخ“.

نص التفسير المظهري هذا يدل دلالة واضحةً وضوح الشمس في رابعة النهار - على أن النبي يتصف بصفتين: الأولى: النبوة، والثانية: الولاية، فهاتان الصفتان اللتان يتصف بهما النبي أفضلهما الولاية، فكأن هذا النص محمول على المفاضلة بين صفتين يتصف بهما نبي من الأنبياء.

ولكن صاحب المقال - في صدد الإجابة عن موقف الشيخ محمد سعد - شطب الشطر الأول من نص التفسير المظهري، الذي كان يحدد محمل هذا النص، ويعوق دون استدلاله ويفند إجابته، ثم إنه أنزل منهج الدعوة الخاص في هذا العصر منزلةً منهج النبوة، وجعل مناهج الدعوة كلها - عدا المنهج الخاص الذي يذهب إليه الشيخ محمد سعد - منهج الولاية وطريقها، وحمل نص التفسير المظهري على هذا المعنى. ثم إنه استدل بأقوال حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي، والشيخ مجدد الألف الثاني رحمهما الله تعالى. وذهب مدفوعاً بالعواطف - إلى القول بأن الإرشاد إلى فضل منهج النبوة في الدعوة؛ بل حض الأمة وحملها عليه أهم متطلبات العصر الراهن.

ويتلخص كلام صاحب المقال في أن المنهج المعروف في الدعوة هي منهج النبوة، وأما منهج الأولياء في الدعوة فمنهج الولاية، وليس من منهج النبوة في شيء، ومنهج النبوة خير من منهج الولاية.

ولو سلمنا ما قاله صاحب المقال لزمنا أن نقول: إن حكيم الأمة التهانوي ومجدد الألف الثاني - اللذين استدلا هو بأقوالهما على مذهبه - لم يسلكا منهج النبوة.

هل تظن بولي من الأولياء أنه لم يقم بأعمال النبوة؟ أو أنه تخلى عن منهج النبوة؟ ورده هذا ينال من الخدمات القيمة التي قام بها العلماء والمشايخ الكبار؛ فإن منهجهم في الدعوة ينصبُّ - إذاً - في خانة منهج الولاية فيكون مفضولاً.

• كما شعرتُ في كثير من المواقع بالمغالطات والكذب، كما سلك في بعضها مسلك الدفاع والذود عن الشيخ محمد سعد ومنهجه، دون دراسته دراسة علمية، كما أعرض في غير موضع - عن الجواب الصريح ولاذ بالجواب الإجمالي.

• وما أورده بعض خريجي دارالعلوم في قصة يوسف عليه السلام من الأحاديث، ثم كلامه العلمي عليها لا يسعني هنا أن أستعرضه استعراضاً مفصلاً، وإنما أود أن أقول لهؤلاء المتخصصين في الحديث: ليتهم تحققوا من هذه الأحاديث، كما يجب عليهم أن يقرؤوا أصول الحديث وأصول التفسير في هذه الصدد صادرين عن منهجية وعدل. والذي يبعث على العجب والحيرة أنهم لم يرجعوا إلى تفسير حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي المعروف بـ ”بيان القرآن“، وليت شعري ما الذي حال دون ذلك؟ أ لأن تفسير التهانوي لم يكن تفسيراً بالمأثور في ظنهم؟ أو لأن التهانوي -رحمه الله- ذهب في تفسيره إلى خلاف ما ثبت بعبارة النص ونأى بجانبه عن التفسير بالمأثور؟ يا للأسف!!.

• وقالوا معتذرين عن قول الشيخ محمد سعد بوجوب قراءة القرآن الكريم على كل مسلم عن فهم ودراية:

”إن الشيخ رجع عن قوله بالوجوب، وتشديده النكير ينصب على أصحاب الدعوة الذين عارضوا تفسير القرآن الكريم في مساجدهم عن سوء فهم، واعتبروا حلقاته منافية لنشاطهم“.

إن أحباء الدعوة، الذين سمعت أذانهم هذا الكلام على لسان الشيخ محمد سعد يعلمون يقيناً أن الشيخ كان هدفه دعوة المسلمين جميعاً إلى النظر في ترجمة معاني القرآن الكريم والتدبر فيه، بصورة مباشرة أو كان يهدف إلى توجيه المسلمين إلى الاستفادة من حلقات التفسير التي يقيمها أهل العلم؟ فإذا كان الغرض منه الوجه الآخر فأتساءل المفسرين القائمين على حلقات التفسير في البلاد وخارجها: هل اشتدت الرغبة في الاستفادة من حلقات التفسير أو تضاءلت أو تزايدت معارضة هذه الحلقات وتكثفت محاولات توقيفها والحد منها خلال سبع وثمانين سنوات ماضية؟ (لا بد أن يطلعوني على ذلك، فربما أخطأت فهم ذلك).

ألم تصدر من ”مسجد بنغله والي - مركز الدعوة والتبليغ في دهلي“ دعوة الذين لا يحسنون قراءة حروف القرآن الكريم وبكل شدة وتأکید إلى :

”ترجمة معاني القرآن الكريم الفلانية قديمة، وترجمة معاني القرآن الكريم الفلانية جديدة، وأرى هذه الترجمة على غاية من الحسن والجودة، فعليكم جميعا الرجوع إليها، والتدبر في كلام الله تعالى“.

ليت شعري ما الذي دفع إلى تناسي الفكر الوسط المعتدل الذي عليه كبار علماء دار العلوم؟ وليت شعري ما الذي حمل على هذه اللامبالاة بفكرة كبار علماء ديوبند، ونظريتهم المعتدلة؟

والحاصل أن هذا الرد لا ينسجم في جملته مع شخصية لها وقار وأمانة ومروءة، فأسلوبه يشف عن الطعن واللمز، ولا ينسجم أصلا مع أسلوب كبار جماعة الدعوة والتبليغ في كتاباتهم. ولا يخفى على أهل العلم بعد دراسة هذا الرد - أنه محاولة فاشلة لجمع إحالات عربية على أمور باطلة خاطئة، لاتنطبق عليها أصلا.

قرأت هذا الرد وبدأت أفكر في أن الجماعة التي علّم عظماءها الأمة أن أخطاء الآخرين يجب أن نحملها على تقصير منا، ثم نرى مسؤولي هذه الجماعة؛ بل بعض خريجي دارالعلوم/ ديوبند يترددون في الاعتراف بأخطائهم العلمية الفاضحة؛ بل يدأبون على المعارضة والمقاومة وإعداد الردود - ردًا تلو ردّ-، وبدأوا يكتبون كتابات بأساليب ممجوجة. ويرتكبون خيانة علمية في الرد على مخالفيهم. وما قصة الشيخ محمد إلياس وقصة الشيخ عبد الشكور ببعيد في أوساط الدعوة والتبليغ. فإن الشيخ إلياس - رغم أنه كان على صواب - ظل يردد قوله للشيخ عبد الشكور: ”لقد أخطأت، لقد أخطأت“.

خلفية موقف دارالعلوم/ديوبند

بدأت خطباتُ الشيخ محمد سعد تنتشر على صورة السمعيات، وبدأ الشيخ يعرض على الجموع الحاشدة من ملايين من الحضور أخطاءه صادرًا عن نظرية خاصة، وبأسلوب اجتهادي لاذعٍ لاسعٍ، وبدأت تنتشر أخطاؤه في الناس بصورة رهيبية، وذهب الناس ينشرونها من على منابر المساجد، وبدأوا يعتبرون كل عالم خالفهم معارضًا لعمل الدعوة والتبليغ ونشاطاتها، فطرق مسامع الناس طردُ الأئمة من المساجد، وظهرت شروطٌ جديدة في توظيف الأئمة، وهي شرط خروجه مع جماعة الدعوة والتبليغ لمدة سنة واحدة على أقل

تقدير، وبدأت الفجوة تتسع بين عامة الناس والعلماء بصورة رهيبية، وفرقوا بين علماء جماعة الدعوة وغيرهم على أساس اعتبار الخروج لمدة سنة واحدة على أقل تقدير شرطاً أساسياً لقراءة كتاب "حياة الصحابة" في مراكز الدعوة. فالمساعي التي جاءت لتوحيد شمل الأمة الإسلامية ولمّ شعنها بدأت مراكزها تنفث سموم الاختلاف والفرقة، وبدأوا ينفذون مبادئ وأصولاً مستجدة في المناطق المختلفة تُفرّق شمل الأمة دون أن توحد كلمتها، وبدأوا يدعون إلى ضرورة تفكيك مرجعية أهل العلم والمسؤولين، مما لا يخفى على من له أدنى مسكة من الفهم والنظر مدى خطورتها.

كل ذلك مما زاد من قلق علماء الحق بشدة، فبدأوا يعربون عن قلقهم بصفة فردية وجماعية.

كما بدأ مسؤولو دارالعلوم/ ديوبند وأساتذتها الإعراب عن قلقهم حذواً لسلفهم الصالح، وقد سمعت ذلك من بعض أساتذتي الكبار في الجامعة، وقرأت مقالاتهم في هذا الصدد.

موقف دارالعلوم/ديوبند الحذر

وبما أن المشكلة كانت مشكلة شعبية، وعلى صلة بجماعة يمتد نطاق نفوذها ونشاطاتها إلى الدول كلها، فوقف كبار علماء ديوبند منها موقفاً حذراً، وبذلت دارالعلوم/ ديوبند مساعي إصلاحية منذ ثماني أو عشر سنوات فيما أعلم بصورة إيجابية، واتخذت جانب الحذر من التحدث عنها والتعليق عليها في الأوساط الشعبية.

وأذكر أن علماء مدينة "كان فور" - و كنت يومئذ طالباً بدارالعلوم - أرسلوا سؤالاً واستفتاء مفصلاً إليها - دارالعلوم/ ديوبند - قبل عدة سنوات، تتضمن أقوال الشيخ محمد سعد الخاطئة، في إشارة إلى أنه الجماعة بدأت تتحول فرقة من الفرق. ولكن ردت عليه دارالعلوم/ ديوبند ردّاً إيجابياً، وأصدرته للشعب، نظراً إلى هذا الجانب من الحذر والحيطه.

طلب دارالعلوم/ ديوبند من الوفد القادم من "بنغله والي مسجد" - مركز نظام الدين -

أتذكر- وكنت يومئذ أحد طلاب قسم الإفتاء بدارالعلوم/ ديوبند- أن مشايخ دارالعلوم قرروا- في أعقاب إصدار هذا الرد على الاستفتاء- أنه من غير المناسب أن نتحدث إلى الشعب مباشرة حديثاً سلبياً في هذا الخصوص، ويجب أن نشرح موقفنا هذا للوفد القادم من مركز نظام الدين هذا العام- كالمعتاد-، ونتحاور معه حول الأفكار والآراء المنسوبة إلى الشيخ محمد سعد، ونُوصل موقفنا إليه بوساطة من هذا الوفد. وفعلاً قدم الوفد من مركز نظام الدين كالمعتاد، و انعقد مجلس في الحصة السادسة من الحصص الدراسية في الجامعة كجاري العادة في الأعوام السابقة، وضم هذا المجلس كبار أساتذة ومشايخ دارالعلوم/ ديوبند، الذين أعربوا عن قلقهم، وحمّلوا الوفد القادم من مركز نظام الدين خطاباً قصيراً يتحدث عن الشيخ محمد سعد، ويتضمن الرد الصادر عن الجامعة على الاستفتاء الموجه من علماء كانفور إليها، كما شكوا الخطاب إلى الوفد بعدم قدوم الشيخ سعد إلى دارالعلوم/ ديوبند، ووجه الخطاب إليه بصفة خاصة- الدعوة إلى القدوم إلى الجامعة.

ردة فعل غير لائقة من الوفد القادم من مركز نظام الدين على موقف دارالعلوم

بلغني عن هذا الوفد أنه حمل قلق دارالعلوم هذا على معارضة نشاطات الدعوة، وعلّق بعضهم تعليقاً لا ينسجم مع متطلبات الأدب والاحترام بين ظهرائي بعض زملائنا. وعلّق عليه أحد أبرز مسؤوليهم تعليقاً سار به الركبان، وهو أننا كنا في مجلس مناظرة، ومعظم هؤلاء المناظرين لم يتخرجوا إلا بعد تخرجي من الجامعة.

وعلى كل، تم إرسال الخطاب مشفوعاً بالاستفتاء و رد الجامعة عليه، إلى الشيخ محمد سعد، وسرعان ما وصل الرد عليه بتوقيع من الشيخ محمد سعد. وأبلغني بعض أساتذة الدار أنه أشاد به كثيراً دون أن يتعرض للفتوى، أو قلق مشايخ دارالعلوم بحديث، وانتهى بذكر ما قام به "بنغله والي مسجد" من الخدمات. والحاصل أنهم لم يولوا هذه الجهود الإيجابية المبذولة من دارالعلوم/ ديوبند عنايةً واهتماماً. وسلوكهم هذا حمل إلى مشايخ دارالعلوم/ ديوبند رسالة واضحة قائلة بأن قلقهم لا يقوم على الحق، وإنما يرجع إلى

المعارضة لنشاطات الدعوة والتبليغ وأعمالها، فهيئات النظر فيها، وأن الرد على الأقوال والاعتراضات ليس ينسجم مع مبادئ جماعة الدعوة، وهذا كله مما رأته عيناى.

وفي أعقاب هذه المحاولات والمساعي تحوّل اتجاه الشيخ سعد أشدّ وأعنف من ذي قبل. و وصلتُ إلى مركز نظام الدين، بهدف الخروج مع الجماعة لمدة سنة واحدة، فسمعت أذناى و وعى قلبى مثل هذه الخطبات والبيانات التي ألقاها الشيخ سعد، مما يعارض معظمها ما عليه جمهور الأمة. ولا أنسى أن بعض أقرب زملاىى ممن حضر خطبة الشيخ سعد قال لي: قال الشيخ سعد وهو يتحدث عن الجهاد في سبيل الله: "إن الذين يخصونه بنوع من الجهاد، في جهل و غمرة، إي والله!؛ إنهم كَمَلُوا الفضائل على بعض العوارض فحرموا الأمة إياها".

وبغض النظر عن تفاصيل هذا الموضوع لا أعلم أحدًا من كبار جماعة التبليغ تعرض لموضوع علمى مختلف فيه كمنظريه وتحدث عنها بين يدي عامة الناس، وعلق فيه على المعارضين ونال منهم نيلا، وحلّف على أن الرأى الفلانى من الآراء في قضية خلافية هو القاطع والقول الفصل. وذلك مما ينافى طبيعة "بنغله والى مسجد"، وما كان عليه كبارهم ومشايخه.

ولا أكاد أفهم ما يقال:

"ليت شعري ما الذى يدعو إلى تقديم الأدلة على منهج الدعوة الخاص اليوم؟ هل في خطبات و بيانات كبار جماعة الدعوة والتبليغ مثيل ونظير له؟ والأضرار التى جرّها هذا الاتجاه من البيانات على روح الدعوة لا يدركها إلا من قرأ أو سمع بيانات الكبار والعظماء في الدعوة، وهذه البيانات لن تنفع الأمة في سلوكها من قريب أو بعيد، ولا يخفى أن موضوع البيانات حين كان ينصبّ على التوجيه إلى الإيمان، والإقبال على الله تعالى والتوجه إليه، والأخلاق والقبر والحشر، والجنة والنار، وإصلاح الحياة الشخصية، كان له تأثير في قلوب السامعين بصورة ملموسة، وكانت الفئة المنتمة إلى جماعة الدعوة تتجلى فيها عناية خاصة بالعلم والسلوك، وهذه الموضوعات مما اتفقت عليه الأمة، ويدعو إلى جمع كلمتها، ولكن يا للأسف".

لقد طال الكلام، مما يدعو إلى التغاضي عن كثير من الوقائع والأحداث والضرب

عنها صفحًا.

دارالعلوم/ديوبند تتبع أسلوبًا حذرًا فيما يخص الرد على الاستفتاءات الخاصة بالشيخ محمد سعد.

ومن الجدير بالذكر - مما شاهدته وأنا طالبٌ في قسم الإفتاء بدارالعلوم/ ديوبند - أن دار الإفتاء كانت توصي في بعض الأحيان المستفتي بالرجوع إلى الشيخ محمد سعد فيما يخص الاستفتاءات الواردة إليها مصرحة باسمه، كما كانت تتغاضى عن الرد عليها أحيانًا لزومًا لجانب الحذر والحيطه هذا، كما تمَّ إرسال أمثال هذه الاستفتاءات والخطابات إلى الشيخ محمد سعد بيد بعض الناس، دون أن تتلقى دارالإفتاء ردًّا عليها؛ بل ظهر ما نعجز عن وصفه وبيانه.

والحاصل أن دارالعلوم/ ديوبند واصلت جهودها الإصلاحية الإيجابية منذ مدة غير قليلة، ودعت الشيخ محمد سعد إلى زيارة الجامعة، كما اختلف بعض كبار مشايخ دارالعلوم/ ديوبند؛ بل بعض أعضاء المجلس الاستشاري إلى مركز نظام الدين/ دهلي، وزار فضيلة الشيخ أرشد المدني نفسه الشيخ محمد سعد غير مرة، كما تردد إليه غيره من أساتذة الدار أيضا، إلا أن اللقاءات والزيارات كان أحادية الجانب، ولم تكن متبادلة.

بلغ السيل الزبي

ثم بدأ السيل يبلغ الزبي، وبدأت تُطلق من هذه المنصة الاجتهاداتُ الخاطئة، والتفسيرات المرجوحة للكتاب والسنة بشدة وعنف، مما لم يستعمله كبار جماعة الدعوة لمطلق الاجتهاد؛ بله الاجتهاد الخاطيء، واحترزوا كل الاحتراز من ذكر الأقوال غير المعروفة وإن صحت - أمام عامة الناس. وقصروا بياناتهم على الخصال الست المعروف بيأتها في تجمعات الدعوة والتبليغ، وفي جانب آخر بدأت خطباتُ الشيخ محمد سعد وبياناته تنتشر في عامة الناس انتشار النار في الهشيم، وتناقلها الناس في بياناتهم، فاشتت ثقات علماء دار العلوم/ ديوبند رائحة الفرقة والتحزيب في مثل هذه الأوضاع الحرجة، واشتدت مخاوفهم من أن تنحرف هذه النشاطات والأعمال الدعوية عن مسار السلف والعظماء، فتُسبب الافتراق والفوضى العارمة، ويعود عددٌ كبير من الأمة فريسةً للباطل دفعة واحدة.

مرَّ علماء الحق بمرحلة عصبية واختبار قاسٍ في مثل هذه الأوضاع: هل يسعهم أن يوافقوا على النشاطات الدعوية والأوضاع هذه، ويقفوا بجانبها أو يلزمهم أن يعارضوها ويخالفوها.

من أهم أسباب اعتزال بعض كبار مسؤولي الدعوة والتبليغ الشيخ محمد سعد

في هذا الجو الطافح بالقلق والاضطراب اعتزل بعض كبار مسؤولي جماعة الدعوة والتبليغ "بنغله والي مسجد/ مركز نظام الدين"، وتبرؤوا من نشاطاته، وأعربوا عن موقفهم بصورة رسمية. وأهم ما أرجعوا اعتزالهم إليه يتمثل في اجتهادات الشيخ محمد سعد المضللة، وتفسيرات القرآن و السنة الخاطئة، التي كانوا يسمعونها بأذانهم منذ زمن طويل، ويحاولون تعديل الوضع وإصلاحها بجهود إيجابية. وموقف مسؤولي جماعة الدعوة والتبليغ هذا أكد القلق الذي كان يساور علماء الحق، وتبين أنه قائم على الحق. فطالب علماء الحق والقائمون على المدارس في الهند وخارجها دار العلوم - التي كان أساتذتها على قلقٍ منه من ذي قبل، ورأوا فشل المحاولات التي بذلتها دار العلوم الإصلاحية الإيجابية في حل المشكلة - طالبوها بأن تعرب عن موقفها من خطبات الشيخ محمد سعد وبياناته وأفكاره، وذلك تفادياً للأمة من الآراء الباطلة والمضللة، وليتسنى حصر نطاق عمل عامة الناس الناشطين في مجال الدعوة فيما يخص الأمور العلمية - في الأدوار التي قام بها عظماء الدعوة والتبليغ، فقررت دار العلوم - بعد محاولات إصلاحية دامت سنوات وسنوات - الإعراب عن موقفها، وإصدار فتوى ضد أقواله الباطلة الخاطئة. وأكد موقفها هذا أنها - دار العلوم - مقطوعة الصلة بما يخص شؤون جماعة الدعوة والتبليغ الداخلية.

ما الذي حال دون إصدار موقفها في الأيام الماضية؟

في هذا الصدد كذلك يحاول بعض الفضلاء - الذين سبق أن أبدت أسفي عليهم في السطور الماضية - التسويل لعامة الناس بقولهم:

”هلا أفتوا من ذي قبل إذا كان لا بد أن يفتوا في هذا الصدد؟ وهذه الأقوال الخاطئة تنطلق منذ عشرة أعوام بصورة مستمرة، فالفتوى لا تهدف إلى إصلاح ما فسد من الأقوال، وإنما تستهدف الوقوف بجانب فريق دون فريق، والذود عنه“.

وقول بعض الفضلاء هذا باطلٌ لا أساس له؛ بل يُشكل محاولةً للتستر على الحقائق، فإن المساعي الإيجابية كانت مستمرةً من ذي قبل، وبما أن المشكلة كانت على صلبةٍ وطيدةٍ مع عامة الناس، فلم يتذكروها ولم يتحاوروا حولها إلا في المجالس الخاصة، وأُرسلت الرسائل والخطابات، وكان من جرّاء ذلك أن تحوّلت طبيعة الشيخ محمد سعد - بصورة رهيبة - أعنف وأشدّ من ذي قبل فيما بعد وفاة الشيخ محمد زبير الحسن. وهذا العنف دفع الشيخ محمد سعد في خطباته وبياناته إلى إطلاق التعليقات غير اللائقة في حق كل من عارضه وخالفه، فبدأ يصفهم بالحمار ونحوها من الألقاب اللاذعة، وبدأ يطلق أقواله على أنه اجتهدا يجب الخضوع له، وبدأ ينادي بـ

”رأبي، رأبي، رأبي“.

واستنبط نتائج خاطئة باطلةً من الكتاب والسنة وكتاب ”حياة الصحابة“، واعتبر نظام ومنهج الدعوة وترتيبها القديم باطلاً ومعارضاً للسنة النبوية. وبدأ يحمل دلالات النصوص على ما أملاه عليه نفسه. وبلغ الشيخ سعد من ثقته بنفسه، وإعجابه برأيه أن تجرأ على وصف العلماء المعارضين لرأيه بـ ”علماء السوء“، وأقام عامة الناس الناشطين في الدعوة والتبليغ - في وجه العلماء الذين لا يقولون بقول الشيخ محمد سعد؛ بل كلّفهم أن يقنعوا العلماء، ويصرحوا لهم بأنهم - العلماء - جهلة، قد فعلت اليهودية في قلوبهم وعقولهم فعلها، فصارت معظم خطبات الشيخ محمد سعد وبياناته ضحية أمثال هذه الجمل:

”من قال كيت وكيت فهو كذا وكذا، ومن فعل كذا كذا فهو كذا وكذا، هذا هو الصحيح فيما أرى، هذا خطأ، هذا راجح، وهذا مرجوح، هذه دهرية، وذاك شرك، هذا جهل، ذاك مكر وخديعة، هذا باطل، وذاك لا يجوز، هذا حلال وهذا حرام، هذا من اليهودية، ذاك من الشيطان“.

ومما يحتل أهمية قصوى أن موقف دارالعلوم يتضمن غير واحد من الاقتباسات المماثلة التي ترجع إلى مرحلة ما بعد وفاة الشيخ زبير رحمه الله، كما صرح بذلك الخطاب الجوابي من دارالعلوم.

وهل يبقى - بعد هذه التفاصيل التي سردناها- من مسوغ للشبهة القائلة: هلا أصدرت الفتوى

من ذي قبل؟

مقدم وفد من مركز جماعة الدعوة والتبليغ إلى دارالعلوم قبل ظهور موقفها

وقبل صدور الفتوى من دارالعلوم/ ديوبند بصورة رسمية قدم وفد من مركز الجماعة بنظام الدين/ دهلي إلى دارالعلوم، وتزامن معه قدوم أستاذ من جامعة مظاهر علوم /سهارن فور يحمل رسالة من الشيخ محمد سلمان المظاهري وبتوقيع منه، وأكد الوفد القادم من مركز الجماعة أن الشيخ سعد مستعد للرجوع عن أقواله.

لم تستهدف دارالعلوم/ديوبند إلا الحفاظ على الدين وإصلاح الأمة

ولم يتوخَّ مشايخ دارالعلوم/ ديوبند وعلماؤها إلا الإصلاح ووقاية الأمة من الانحراف عن جادة الطريق، فلم يروا سبيلا إلى الإصلاح خيرا من أن يرجع الشيخ سعد نفسه عن أقواله على سمع الأرض وبصرها، ومن اعترافه بما تطالبه الفتوى الصادرة من الأمور المتفق عليها - في واقع سلوكه وعمله. فأحجمت دارالعلوم عن إصدار فتوى لعامة الناس بعد ما أفاد الوفد بما أفاد-، و أرسلتها إلى الشيخ محمد سعد يحدوا بها أمل جديد.

حديث الشيخ أرشد المدني مع الوفد، وموقف بعض الفضلاء الموسف

وهنا يقوم بعض الفضلاء بليِّ كلام الشيخ المدني وتحريفه مع الوفد القادم من نظام الدين ، ويتهمون الشيخ المدني بأن قال في حديثه مع الوفد:
 "ليس المهم الفتوى الصادرة، وإنما الأصل أن يرضخ الشيخ سعد للشورى ويقبله، وإنما نستصدر الفتوى لأجل حملته على قبول الشورى؛ فإن رضي به كان بإمكاننا الحيلولة دون صدور الفتوى" إنا لله وإنا إليه راجعون.

تأكدتُ من هذا الحديث مع الوفد، فتبين أن الشيخ المدني لم يقل إلا ما يلي:

”لن تنحل المشكلة فيما إذا لم يقبل الشيخُ محمد سعد الشورى؛ لأنه لم يتلق تربية، وبضاعته في

العلم مزجاة، وإن أساتذته وأكابر الجماعة - ممن كانوا على عهد أجداده - لازالوا على قيد الحياة. ومادام

أنه لا يتقيد بأسوة الأكابر، الذين يقيدونه في خطباته وبياناته بها تستحيل الحيلولةُ دون خطباته وكلماته

الخاطئة، فلو توقفنا اليوم عن إصدار الفتوى؛ فإنه يعود من غده إلى ما هو عليه اليوم من الخطأ، ثم نُطالبُ

بإصدارها فنُضطرُّ إلى ذلك“.

هذا ما قاله الشيخ أرشد المدني بالحرف الواحد، ومعناه واضحٌ جلي لكل ذي عينين و

قلب سليم، وإنما أشار الشيخ المدني بالشورى؛ لأنه لا سبيل إلى الحيلولة دون خطبات الشيخ

سعد وبياناته الخاطئة- كما يرى الشيخ المدني- خيرًا من التقيد بالشورى. ولا يعني كلامه

أصلاً- أنه يصدر الفتوى ميلاً إلى رأي فريق دون فريق من المتخاصمين، وأن الفتوى تتوقف

فيها إذا خضع الشيخ سعد للشورى، وهذا باطل لا أساس له. فإن دارالعلوم لم يكن ليمنعها

شيء من إصدار الفتوى ضد أقواله وبياناته الخاطئة فيما إذا تكررت تلك بعد أن يخضع

الشيخ سعد للشورى ويقبلها، ولم يتم بإصلاح وضعه.

ويؤسفني أن هؤلاء الفضلاء حرّفوا كلمة الشيخ المدني، وألوه بما لم يرض به

قائله، رغبةً في التشكيك في الفتوى. ولو سلمنا أن دارالعلوم/ ديوبند كانت تريد إصدار

الفتوى لتأييد موقف فريقٍ من المتخاصمين، فما الذي منعها من إصدار فتواها قبل قدوم وفد

مركز نظام الدين؟ وما الذي حمّلها على إرسالها إلى الشيخ محمد سعد؟ وفيما إذا خضع

للشورى، واستمرَّ على الاتجاه السابق في بياناته، وتناقلها العاملون في الجماعة، فهل كان

لدارالعلوم أن يسكت مشايخها على خطباته وبياناته الخاطئة، في استمرار على الوقوف

بجانب الجماعة؟

أول كتاب من الشيخ محمد سعد ردًا على موقف دارالعلوم/ديوبند

عود على بدء:

لقد ابتعدنا عن الموضوع كثيرًا، فنعود إلى ما كنا فيه، وهو أن دارالعلوم/ديوبند لم تنشر موقفه لعامة الناس، وإنما أرسله إلى الشيخ محمد سعد، وذلك لتكون رسالة واضحة للعالم كله بأن الغرض من إصدار موقفها ليس إلا إصلاح ما فسد من أقوال الشيخ محمد سعد، ورد ما انتشر من آرائه الباطلة في الأمة إلى نصابها، وليس الغرض منه الوقوف بجانب فريق من المتخاصمين أو المعارضة لنشاطات الدعوة.

أول كتاب منه يتَّهم مشايخ دارالعلوم/ديوبند بالخيانة، وسوء الظن، ومعارضة

نشاطات الدعوة.

ولقد آسف -بشدة- أول ردّ ظهر من الشيخ محمد سعد على موقف دارالعلوم/ديوبند، في عدة صفحات، ولم يطمئن مسؤولو دارالعلوم به؛ بل زاد من قلقهم واضطرابهم، وتضمن اتهام مشايخ دارالعلوم/ديوبند بالخيانة، وقال: أعدت هذه الفتوى انطلاقًا من الرغبة في معارضة الشيخ محمد سعد، ونشاطات جماعة الدعوة والتبليغ، وأن الاعتراضات التي أوردها أهل العلم على أقوال الشيخ محمد سعد وبياناته غاية ما فيها أن نصفها بزلة اللسان، والتقصير في التعبير والبيان، وعدم لزوم جانب الحذر. كما أشار الكتاب في نهايته إلى إمكانية إيراد الأدلة والشواهد على كلام الشيخ محمد سعد.

لنقرأ أولاً - الفقرة الأخيرة من كتابه :

”إن ما تسرب إلى الخطبات والبيانات السابقة من زلة اللسان أو عدم لزوم جانب الحذر أو التقصير في التعبير بسبب عدم الإحاطة بكافة الحكم والمصالح في حينها، مما أثار لكبار مسؤولي مؤسسة عالمية علمية دينية نوعًا من سوء الظن بالبعد الفقير وأصحابه ورفقائه في الدرب: أفكارهم ونظرياتهم وموقفهم ومذهبهم - يعتبره كاتب هذه السطور مؤسفاً للغاية، وعدم التعاون مع عمل الدعوة والتبليغ المبارك، ومركزه“.

لننظر فيما أشار إليه موقف دارالعلوم من فقرات بياناته وكلماته التي ألقاها الشيخ محمد سعد خلال سنتين قبل ظهور موقف دارالعلوم، والتي يعبر عنها كتابُ الشيخ محمد سعد بالبيانات والكلمات القديمة:

”خلف موسى عليه السلام قومه، وانطلق لمناجاة ربه، واختلى عنهم واعتزلهم، فضلَّ خمس مئة وثمانية وثمانون ألفاً من بني إسرائيل، وكان موسى - عليه السلام - هو الأصل، وهو المسؤول عنهم، فكان عليه أن يمكث فيهم، وأما هارون عليه السلام فكان مساعداً وشريكاً له“.

”إن التنقل والتحرك لأجل استكمال التوبة وتزكيتها. والناس على علمٍ بثلاثة من شروط التوبة، ولا يعلمون الشرط الرابع من شروطها، ونسوه، فما هو ياترى؟ هو الخروج مع الجماعة، لقد تناسى الناس هذا الشرط، والرجل الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً أول ما لقي رهباً من الرهبان، فأقنطه الراهب، ثم لقي عالماً من العلماء، فقال له: اخرج إلى القرية الفلانية، فخرج القاتل إليها، فقبل الله تعالى توبته، فعلم منه أن من شروط التوبة الخروج، فلاتقبلُ توبةً من غير خروج. وتناسى الناس هذا الشرط، ولا يذكرون إلا ثلاثة شروط للتوبة، لقد تناسوا الشرط الرابع وهو الخروج“.

”لامكان للاهتمام إلا المسجد، فالجهات التي تدرّس الدين، إذا لم تكن على صلة بالمسجد، فلا دينَ فيها، إي والله!، نعم يُعلّم فيها الدين، وأما أن يكون فيها الدين فهيهات وهيهات“.(ولا يقصد الشيخ في هذه الفقرة: التوجه إلى المسجد للصلاة؛ فإنه قال هذا الكلام في صدد عرض نظريته الخاصة وهو يتحدث عن أهمية المسجد وجلب الناس إليه للتحدث معهم عن الدين، كما يشير الفيديو إلى تفاصيله، وأصبح الشيخ سعد يرى التحدث عن الدين خارج المسجد مما ينافي السنة النبوية، ويعارض ما كان عليه الأنبياء وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم).

”إن تعليم الدين على الأجرة يعني بيع الدين، وإن الزناة يدخلون الجنة قبل دخول من يعلم الدين على الأجرة“.

”أرى عدم جواز صلاة المرء وهو يحمل في جيبه الجوال ذا الكاميرا، استصْدِرُوا من العلماء ما شئتم من الفتاوى، إن استماع القرآن الكريم وقراءته عبر الجوال ذي الكاميرا يُشكل إهانةً للقرآن الكريم ونيلاً منه، يأثم صاحبه، ولا أجر له عليه، ويحُرّمُ الله تعالى بسببه العملَ بالقرآن الكريم، والعلماء الذين يُفتون بجواز ذلك أعتبرهم علماء سوء، علماء سوء، وإن اليهود والنصارى قد فعلوا فعلهم في قلوبهم وعقولهم، إن هم إلا علماء جهلة، وأرى أن العالم الذي يُفتي بجوازه - إي والله - يخلو قلبه من عظمة

كلام الله تعالى، وإنما أقول ذلك لأن عالماً كبيراً قال لي: ما الحرج فيه؟ فقلت: إن قلب هذا العالم فارغ من عظمة الله تعالى في الواقع وإن حفظ صحيح البخاري؛ فإن الكفار يحفظون صحيح البخاري.“
 ”يجب على كل مسلم أن يقرأ القرآن الكريم عن فهم، واجب واجب، فمن ترك هذا الواجب كان عليه إثم ترك الواجب“.

ليتأمل علماء الحق في هذه الاقتباسات هل يصح أن نعتها مجرد زلة اللسان أو عدم لزوم جانب الحذر، أو التقصير في التعبير؟
 يعزُّ مثل هذه الكتابات منسوبةً إلى مركز جماعة الدعوة والتبليغ في الماضي، ويعارض ما كان عليه مسؤولوها السابقون.

ليت !!

ليت الشيخ محمد سعد توجه إلى دارالعلوم/ ديوبند بموقفه هذا، وشافه مسؤولي دارالعلوم به، في حين أنه حمل هذه الفتوى إلى الشيخ محمد سلمان المظاهري في جامعة مظاهر علوم/ سهارن فور، ولم يسعه أن يتوجه إلى ديوبند؟ فربما كان وراء ذلك أيضاً المصالح التي رآها أمثال أولئك الفضلاء، أو عجزوا عن ذلك بين يدي الشيخ سعد؟

ردُّ دارالعلوم/ ديوبند على الكتاب الأول من الشيخ محمد سعد

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ/ محمد سعد، وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه

الأمر الذي دعانا إلى هذا الكتاب هو أننا تلقينا كتابك الذي بعثت به، وكان مبعث سرور وفرح؛ فإن من سعادتنا - فيما إذا صدرت منا خطأ عن زلة وسهو فيما يخص أحكام الدين المرضي عند الله تعالى أو في شأن أحد من الشخصيات التي اصطفاه الله تعالى واختارها - أن نبادر إلى الرجوع من غير تسويق، ونحاول -محاولةً مخلصَةً- تدارك ما خلفه من الآثار البغيضة. وهذا ما يُشعر به - فيما يبدو - الشطرُ الأول من كتابك الذي أرسلته، ولاشك أنه يستحق التقدير، ولكن الشطر الأخير من الكتاب يسير بهذا الانطباع مهَبَّبٌ حيث جاء فيه:

”وبإزاء ما ورد في السطور السالفة الذكر، ما تسرب إلى الخطبات والبيانات السابقة من زلة اللسان أو عدم لزوم جانب الحذر أو التقصير في التعبير بسبب عدم الإحاطة بكافة الحكم والمصالح في حينها، مما أثار لكبار مسؤولي مؤسسة عالمية علمية دينية نوعاً من سوء الظن بالعبء الفقير وأصحابه

ورفقائه في الدرب: أفكارهم ونظرياتهم وموقفهم ومذهبهم - يعتبره كاتب هذه السطور مؤسفاً للغاية، وعدم التعاون مع عمل الدعوة والتبليغ المبارك، ومركزه". (بنصه)

فنقول في هذا الصدد - أولاً: "إن موقف دارالعلوم/ ديوبند لا يقوم على البيانات والخطبات القديمة فقط؛ بل على البيانات التي جاءت في الماضي القريب أيضاً؛ بل الاقتباسات كلها ترجع إلى زمن قريب عدا بعض أجزاء اقتباس واحد.

وثانياً: إن كلماتكم وبياناتكم في الأيام الأخيرة تتضمن الترغيب في المدارس والتقرب إلى العلماء وأهل الله، ولكنها لا تتضمن الرجوع عما يثير الإشكال والاعتراض أو الرد عليه".

وثالثاً: إن الشطر الأخير من كتابكم يوضح أيما إيضاح - أن الفتوى الصادرة من دارالعلوم/ ديوبند (التي حملت على إعداد هذا الكتاب المطول) أعدت انطلاقاً من سوء الظن ومعارضة نشاطات الدعوة وأعمالها وعدم التعاون مع مركز الدعوة والتبليغ. وتوهمكم هذا باطل منقوض الأساس على الإطلاق؛ فإن الفتوى لا تصدر انطلاقاً من سوء الظن؛ بل لشرح الحكم الشرعي وبيانه، ثم لا بد أن تكونوا على علم بأن "سوء الظن" إنما يطلق - من المنظور العلمي والشرعي - على الظن القائم على غير القرائن والأمارات والعلامات، وأما الظن القائم على القرينة والأمارات والعلامة فلا يعبر عنه بسوء الظن، علاوة على ذلك إن فتوى دارالعلوم وموقفها هذا إنما يقوم على نصوصكم الصريحة غير المحتملة، فحمله على سوء الظن نوعاً من إساءة الظن.

"ورغم ذلك؛ فإنكم فرد من أفراد عائلة علمية دينية شهيرة في البلاد، ثم صلتكم الوطيدة - أباً عن جد - قائمة بالدعوة والتبليغ، فنظرنا إلى ذلك تمّ تغليب وترجيح جانب حسن الظن بكم في هذه الفتوى، ولكنكم - يا للأسف - تحملونه على سوء الظن، وأما علاقة دارالعلوم/ ديوبند المخلصة الناصحة بجماعة الدعوة والتبليغ، وتقديمها مساعدتها إليها - جماعة الدعوة - مع المحافظة على نشاطاتها التعليمية والتدريسية فجلية وواضحة للعالم كله، ونحن في غنى عن الكلام فيه.

هذا، وقد قلتم في نهاية الكتاب: "ملحوظة: أما الاعتراضات الموجهة إلى خطبات وبيانات هذا العبد الفقير، فسأحاول إرسال المعلومات والمراجع العلمية وغيرها في ذلك لاحقاً رغم قلة بضاعتي في العلم". وهذا يُشعر بأنكم تصوّبون آراءكم ونظرياتكم وأفكاركم، وترغبون في توفير الأدلة على ذلك.

"وبعد إرسال الرد على كتابكم هذا تفادياً من طول المكاتبات والمراسلات نرى إرسال موقف دارالعلوم المتفق عليه إلى أصحاب المدارس وأهل العلم، والأوساط الجادة في الأمة الإسلامية، وذلك

رغبةً في وقاية عمل الدعوة المبارك هذا من شوب النظريات والأفكار الباطلة، وليستمر نفعها وثقة علماء الحق بها". أبو القاسم النعماني 5 / 3 / 1438 هـ (رسالة سعادت نامه، ص: 15)

والحاصل أن دارالعلوم/ ديوبند اضطرت إلى إرسال الردّ على كتاب الشيخ سعد الأول ، ثم عرضت موقفها على أهل العلم داخل البلاد وخارجها مصرحةً بما يلي:
 "تعتبر دارالعلوم/ ديوبند من واجبه الديني أن تعرب عن موقفها المتفق عليه لأرباب المدارس، وأهل العلم ، وأفراد الأمة الجادين، وذلك بهدف وقاية نشاطات وعمل جماعة الدعوة والتبليغ - التي أسسها كبار علماء دارالعلوم/ ديوبند- من شوب الأفكار الباطلة والنظريات الخاطئة؛ والذود عن مذهب ومشرب كبار علمائها؛ واستبقاءً لنفع هذه الجماعة، وثقة علماء الحق بها. ندعو الله تعالى أن يحفظ هذه الجماعة من كل سوء ومكروه ، ويكتب لنا الاستمرار على الطريق الحق مذهباً وعملاً، آمين".

موقف الشيخ محمد سعد المؤسف في أعقاب صدور الفتوى

بعد ما صدرت الفتوى من دارالعلوم ظهر من الشيخ سعد موقف آخر مؤسف وهو أنه نشر الكتاب الذي أرسله إلى دارالعلوم من مركز نظام الدين، وحاول أن يعطي الأمة انطباعاً بأن ما كتبه حق وصواب، إلا أن دارالعلوم أبت قبوله، وأصدرت الفتوى.

كتاب آخر من الشيخ سعد، و ردّ عطف من دارالعلوم/ديوبند

وفي أعقاب صدور موقف دارالعلوم/ ديوبند حاول بعض ذوي قربي الشيخ محمد سعد إرسال رجوعه مرة أخرى إلى دارالعلوم/ ديوبند، فوصل الشيخ نور الحسن راشد مع جماعة من أصحابه إلى دارالعلوم/ ديوبند يحمل رجوعه مرة أخرى بعد إدخال بعض التعديلات وشطب الجزء المثير للإشكال والانتقاد من الكتاب الأول، فنظر مشايخ دارالعلوم في الكتاب الثاني نظرةً ملؤها التقدير والاستحسان، وجمع المسؤولين مجلساً في نفس اليوم، وأعرب المجلس عن ارتياحه بالكتاب الثاني من الشيخ سعد، وتزويد الشيخ نور الحسن بإيصال بوصول الكتاب، بجانب الوعد بإعداد رد مفصل ونشره لاحقاً.

الجانب الأكثر إثارة للعجب والحيرة في القضية كلها

وتحقيقاً لوعدهم أعد كبار مشايخ دارالعلوم/ ديوبند- فيما بلغني- رسالة مفصلة ووقّع عليها كبار أساتذة الجامعة وأصحاب الإفتاء بها، مختومةً بخاتم مكتب الرئاسة،

و دارالإفتاء بالجامعة ، وأرسلوها إلى الشيخ سعد على يد بعض الناس، ولكن ... قبل أن تصل الرسالة إلى مركز نظام الدين بلغ مسؤولي الجامعة أن الشيخ محمد سعد تحدث عن قصة موسى عليه السلام بالتفصيل و بما فيه عنف و شدة مرة أخرى، مع أن هذه القصة كانت أكبر مثار للإشكال في فتوى دارالعلوم، فقد نيّلت فيها من رسول من أولي العزم من الرسل بصورة مباشرة. لقد صُدمت - بصدمة لا توصف - دارُ العلوم؛ بل كبار العلماء في البلاد وخارجها بعودة الشيخ محمد سعد إلى ذكر قصة موسى عليه السلام التي رجع عنها، خاصةً بعد ما تلقت دارُالعلوم رجوعاً منه مرتين عن موقفه من هذه القصة، فثارت سحابةً من اليأس من جديد. ومن المناسب أن نسوق بيان الشيخ محمد سعد ذلك بالحرف الواحد:

بيان الشيخ محمد سعد بعد إرسال رجوعه المرة الثانية

بتاريخ 13 / ربيع الأول عام 1438 هـ، يوم الثلاثاء، بعد صلاة الفجر

”إن التخلف عن الدعوة من الأسباب اليقينية لضلال الأمة، أصغوا بأذانكم إلى ما أقول، إن التخلف عن الدعوة من الأسباب اليقينية لضلال الأمة، إن التخلف عن الدعوة من الأسباب اليقينية لضلال الأمة، قال العلماء: إن التخلف عن الدعوة إلى الله من أسباب الضلال، حتى قال المفسرون: إن موسى خَلَّفَ أمته ورائه، واعتزها ابتغاء مرضاة الله تعالى واشتغل بالعبادة، وتخلفت الأمة عنه، تخلفت الأمة عنه، فقال الله تعالى لموسى: {وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى}، فقال موسى: {هُمُ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَثْرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}، أصغوا إلي بأذانكم، قال الله تعالى: {فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ}، قال أهل العلم: ذلك لأن موسى عليه السلام لم يستصحب قومه، وخلفهم ورائه وانطلق وحده، وقضى أربعين ليلة في عبادة الله تعالى، وكانت بنو إسرائيل ست مئة ألف، وعلى هدى من الله تعالى، فتخلف موسى عليه السلام أربعين يوماً عن عمل الدعوة إلى الله - ما أقوله أقوله عن فهم ووعي - تخلف موسى عليه السلام عن عمل الدعوة إلى الله تعالى أربعين ليلة فحسب، واشتغل في عبادة ربه أربعين ليلة فقط، فاجتمع - خلال أربعين ليلة هذه - خمس مئة وثمانية وثمانين ألفاً من بني إسرائيل على عبادة العجل، وقالوا جميعاً: {لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى}، ولم يستمر على الهداية من بني إسرائيل إلا اثني عشر ألفاً منهم، واجتمع سائرهم على عبادة العجل“.

ولا يخفى على أهل العلم والفتوى ما يستوجب اتهام رسول من أولي العزم من الرسل بالتخلف عن الدعوة من الحكم الشرعي لصاحبه، وربما هو الذي دفع الكتاب الجوابي إلى القول:

”وبما أنكم فرد من أفراد عائلة علمية دينية شهيرة في البلاد، ثم صلتكم الوطيدة - أبا عن جد - قائمة بالدعوة والتبليغ، فنظرًا إلى ذلك تمَّ تغليب وترجيح جانب حسن الظن بكم في هذه الفتوى“.

شكوك في رجوعه عدة مرات

إن إعادة الشيخ سعد الخطبة السابقة بعد رجوعه في المرة الثانية يبعث شكًا مريبًا في الرجوع المنسوب إليه، ويشير إلى أنه لم يقرأ موقف دارالعلوم/ ديوبند، ولم يُقم لكتابتها وزناً، أو قرأه فإن إعادته نفس البيانات والخطبات بعد رجوعه مرة ثانية يعني أنه - الشيخ سعد - مصر على قوله ونظريته وأما الكتابات التي تُعدُّ باسم ”الرجوع“ فهي من محاولات ومسامي بعض خريجي دارالعلوم/ ديوبند، والعلم عند الله تعالى العلام الغيوب.

أمر مؤسف آخر

بلغني بهذه المناسبة تعليق أحد خريجي دارالعلوم من المقربين إلى الشيخ سعد: ”في الواقع لا سبيل إلى إزالة آثار الفتوى إلا أن يُنشر رجوع الشيخ سعد في عامة الناس على المستوى الذي تمُّ نشر الفتوى الصادرة من دارالعلوم/ ديوبند، ويُستصدر كتابات الرضا والقناعة من دارالعلوم/ ديوبند، وأما ما قاله الشيخ سعد فصواب تمامًا، وستتولى الرد عنه“. إننا لله وإنا إليه راجعون. إن إصدار دارالعلوم/ ديوبند رسالة قصيرة إجمالية ردًا على رجوع الشيخ سعد مرة ثانية، وإعداد رسالة مفصلة تشير إلى الرضا والاطمئنان وإرسالها إلى الشيخ محمد سعد؛ بعد ذلك كله هل يصح أن نقول: إن دارالعلوم/ ديوبند أصدرت فتواها لتأييد رأي فريق من

الخصوم؟

موقف مؤسف آخر لبعض الفضلاء

سمعت كلمة بعض الفضلاء على موقع ”واتس إب“ ألقاها في بعض مناطق ولاية ”مهाराشتر“، في خصوص رجوعه مرة ثانية:

”هذا الفاضل يُوهم الناس أن دارالعلوم/ ديوبند أرسلت رسالة رضى بعد رجوعه مرة ثانية، إلا أن الوسطاء حالوا دونها، ثم يصبّ هذا الفاضل جامَ تعليقاته على هؤلاء الوسطاء“.

مما يبعث على الحيرة والعجب من أنه - الفاضل - يتساءل عن سبب استعادة دارالعلوم / ديوبند رسالتها، ويعرضها على الأمة على أنها عمل مشكوك فيه، ويُحِيل إلى العامة السذج - بالبيانات والكلمات - أن مشايخ دارالعلوم ضعفاء، قليلو الفهم، ذوو طبيعة انفعالية، وغير مخلصين، وأنهم أصبحوا فريسةً للوسطاء.

غير أن هذا الفاضل لم ينبس ببنت شفة فيما يخص عودة الشيخ سعد إلى البيانات السابقة بعد رجوعه مرة ثانية؟ لِيُبَيِّنَ على مثل هذا العقل والفهم. فماذا عسى أن نصفه به إن لم نُسَمِّهِ اعتقادًا أعمى، أ هذا هو عدل الوسطاء؟

كتاب ثالث مؤسف من الشيخ محمد سعد وردُّ دارالعلوم عليه

ساد الصمت مدةً من الزمان بعد العودة إلى البيان المرجوع عنه، ثم تلقت دارالعلوم كتابًا ثالثًا من الشيخ سعد قبل أن يتوجه إلى الاجتماع الدعوية المنعقد في ”بنغلاديش“، وأرى هذا الكتاب الثالث أسوأ حالا من الكتاب الأول، وفيما تفصيله:

- يبدأ هذا الرجوع منه عن موقفه مخاطبًا حضرة رئيس دارالعلوم/ ديوبند: ”سبق أن طعتم في بعض البيانات التي ألقيتها وأعددتكم كتابًا في هذا الخصوص، ويسميتها عامة الناس ”فتوى“.

رغم أن موقف دارالعلوم هذا قد وقَّع عليه جميع أهل الإفتاء في دارالعلوم/ ديوبند، وعليه خاتم دارالإفتاء أيضا- يقول الشيخ سعد ”يسميه عامة الناس فتوى“، وهو طعن في دارالعلوم/ ديوبند ومكانتها.

- وجاء بعد سطور عدة أولية:

”جاء في كتابكم كلام مأخوذ- في الواقع - من كلام مفسري السلف، لم يقع عليه أنظار المعارضين“... ثم قال بعد أسطر: ”أنا أرجع عن بياناتي وخطباتي، لا لأنه تفسير بالرأي؛ بل لأنه تفسير مرجوح“.(بنصه).

إنه يعتبر مشايخ دارالعلوم/ ديوبند معترضين على كلامه في محاولة للإقناع بأن بضاعتهم مزجاة في العلم. ولاشك أن هذه الجملة تتضمن طعنًا في أهل الإفتاء في دارالعلوم وأساتذتها طعنًا لم يسبق له مثيل في تاريخ جماعة الدعوة والتبليغ، فهو يرجع عن موقفه رجوعًا يشوبه معارضة و مجابهة، و يتظاهر بالعلم من جهة كانت تعتبر الردّ على كتاب وخطاب صادر من دارالعلوم/ ديوبند خطوة معارضة لمبادئها، وضربت هذه الجهة بكتابات و رسائل دارالعلوم عرض الحائط، هل هذا ما يسمى رجوعًا عن الموقف؟ هل هذا هو الرجوع الثابت في ضوء سيرة الصحابة رضي الله عنهم؟ هل كان أسلافنا وأكابرنا يسلكون هذا المسلك في الرجوع عن موقفهم ورأيهم؟

والحق أن الكلام الذي يدّعيه الشيخُ سعد أنه مأخوذ من كلام بعض مفسري السلف الصالح والذي لم يقع عليه أنظار المعترضين - لم يُنقل هذا الكلام عن أحدٍ من المفسرين أصلاً. هل ذهب أحد من المفسرين في خصوص الآيات القرآنية الواردة في قصة موسى عليه السلام إلى الاتّهام بأن:

”تخلف موسى عليه السلام أربعين يومًا عن عمل الدعوة إلى الله، تخلف موسى عليه السلام عن عمل الدعوة إلى الله تعالى أربعين ليلة، واشتغل في عبادة ربه أربعين ليلة“.

هل اتّهم أحد من المفسرين موسى عليه السلام بالتخلف عن الدعوة؟ وهل ذهب أحد منهم إلى كشف ما بين العبادة والدعوة من الفرق والواضح؟ وأما أن الله تعالى نبّهه على عجله عن قومه، فلاشك أنه ذهب إليه بعض التفاسير، وهو مرجوح للغاية، وأما الاتّهام بالتخلف عن الدعوة، ومعارضة الدعوة بالعبادة، فلم يذهب إليه أحد من المفسرين. وهلا أطلعني عليه من عشر عليه!

والخطوة الأولى إلى التفسير بالرأي مبدؤها أن يفرض المرء أمرًا من الأمور، ثم يذهب إلى تطبيق الآية القرآنية عليه، ويحاول استخلاص النتائج منها.

وربطوا رجوعه في المرة الثالثة برجوعه في المرة الثانية بالقول بأن رجوعه في المرة الثانية كان مجملًا، وهذا مفصل، وحاولوا إعطاء انطباع بأنهم يقدّمون الرجوع المجمل

والمفصل كليهما ، ويقومون بما وجب عليهم، ثم يضربون صفحاً عما سبب أذى من خطاب دارالعلوم المجمل و المفصل في أعقاب رجوعه - الشيخ سعد - عن موقفه، وكذلك عن إعادة قصة موسى عليه السلام في بيانه في مركز الدعوة والتبليغ، ولم يصرحوا بالرجوع عنها من قريب أو بعيد، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

• إن قراءة القرآن الكريم وسماعه بالجوال إساءة أدب. وجعله الشيخ سعد رأياً منه ثم عزّاه إلى بعض أهل العلم، وليت شعري من أهل العلم هؤلاء؟ لم يُصرح بأسمائهم، ثم فرّع عليه أمر الصلاة، وبناءً عليه أشار على دارالعلوم/ ديوبند إشارة مفيدة قائلة: إن القضية التي تختلف فيها آراء العلماء المعاصرين، كما أنه ليس من الصواب عرضها على تجمعات الشعب وعامة الناس بشدة وعنف، كذلك ليس ذلك مما يستوجب تضليل من يرى فيه رأياً، فيه حذرٌ وحيطة أو تكفيره أو إخراجَه من دائرة أهل السنة والجماعة.

ألا ترى كيف اعتبر رأيه رأياً فيه حذر وحيطة، ثم اخترع رأياً لأهل العلم الآخرين اختراعاً، ثم أشار على مشايخ دارالعلوم/ ديوبند -بناءً على هذه الفرضية الباطلة - بما يعزُّ مثيله في الأدوار الثلاثة التي مرت بها جماعة الدعوة والتبليغ فيما يرى هذا العبد الفقير.

هل فعلاً كَفَّرت دارالعلوم/ ديوبند الشيخ سعد كفرًا قاطعاً، وأخرجته من أهل

السنة والجماعة؟

لننظر في التعبير الحذر الذي استخدمته دارالعلوم في موقفها:

”وفي ضوء ما قلنا نرى من واجبنا الديني أن ننبّه الأمة الإسلامية، وخاصة العاملين في مجال الدعوة والتبليغ كلهم، على أن الشيخ سعد -بناءً على قلة بضاعته في العلم - أخذ ينحرف في أفكاره ونظرياته وتفسيرات الكتاب والسنة عن جادة جمهور أهل السنة والجماعة، ولاشك أنه طريق إلى الضلال والغواية“.

فهذه الفقرة توضح كل الوضوح أن دارالعلوم لم تحكّم على الشيخ سعد

حكماً قاطعاً؛ بل استخدمت التعبير التالي:

”أخذ ينحرف في أفكاره ونظرياته وتفسيرات الكتاب والسنة عن جادة جمهور أهل السنة

والجماعة“

لم تحكم دارالعلوم/ ديوبند على الشيخ سعد بالضلال، وإنما اعتبر سلوك طريق غير سبيل الجمهور مؤدياً إلى الضلال. أليس هذا من الاعتدال والوسطية التي يتصف بها موقف دارالعلوم/ ديوبند الأمر الذي يتم معارضته بأسلوب طاعن لاذع؟
وما صدر من التعليق على الرجوع الثالث الصادر من الشيخ سعد حق وقائم على الواقع، ولعل هذا هو الذي دفع دارالعلوم - في الرد على الرجوع في المرة الثالثة من الشيخ سعد - إلى القول بما يأتي:

”تلقينا في 10/ ربيع الآخر عام 1438 هـ خطاباً جديداً يخص رجوعه عن موقفه، مما لايسعنا الموافقة على مشمولاته ومحتوياته كلها“.

والمعنى أن دارالعلوم/ ديوبند لم تطمئن برجوعه في المرة الثالثة على الإطلاق، ولكن التعرض لأسباب عدم الطمأنينة كان مدعاةً لتطويل الأمر، مما لافائدة فيه؛ فإن الكتابات السابقة قد بلورت الحقائق، وسبق أن قامت دارالعلوم بما وجب عليها، وعليه قامت دارالعلوم/ ديوبند - في أعقاب وصول رجوع الشيخ سعد في المرة الرابعة إليها - بنشر رجوع الشيخ سعد الثالث، مشفوعاً بردها عليه، وصرحت للوفد: ”قُضِيَ الأمر الذي يخصنا“. وذلك ليقف علماء الحق وأولو الألباب من الأمة على واقع الأمر بالمقارنة بين الكتابين.

سؤال؟

هل سمع أحد بلسان الشيخ سعد ليومنا هذا ما يلي:

”لقد أخطأت في ذكر الأمر الفلاني، أو: أخطأت الأمر الفلاني، والصحيح هكذا،

فلاتتناقلا قولي القديم، وأنا أرجع عن القول الأول؟“.

اتجاه كلمات وبيانات الشيخ محمد سعد بعد صدور الكتابات الجوابية

ومما يبعث القلق الشديد في نفوس أهل العلم أن خطبات الشيخ محمد سعد وبياناته لم يشهد اتجاهها تغييرًا ما، رغم هذه المراسلات الطويلة الأمد، ورغم قيام بعض الفضلاء بنشر رجوعه عن أقواله على مستوى موسع؛ بل استمر الشيخ سعد على أسلوبه الاجتهادي، وقوله: رأيي، رأيي، رأيي، عندني، وجهد الأيمان، والاستدلالات الخاطئة، وتفسير آيات القرآن الكريم تفسيرًا مرجوحًا، واستنباط نتائج باطلة من قصص الصحابة وتطبيقها على نشاطات جماعة الدعوة والتبليغ، واعتبار منهج خاصٍ منهج النبوة، وحمل "النفر" الوارد في القرآن على الخروج مع جماعة الدعوة والتبليغ، واعتبار الخروج السائد هدفًا بعينه، ووصف المتخلفين عن الخروج بعصيان الأمر الإلهي، وكثير أمثال ذلك استمر منه ظهوره، وتتجلى في خطباته وبياناته - رغم أن كاتب بهذه السطور لم يسمع بعد الكتابات الجوابية للشيخ سعد إلا خطبة أو خطبتين - تتجلى فيها هذه الأمور الباعثة على القلق مما زادني قلقًا واضطرابًا.

خلاصة

والحاصل أن موقف دارالعلوم وفتواها لم تصدر إلا بعد جهود إيجابية دامت سنوات ولم تتوخَّ دارالعلوم إلا الحفاظ على الدين، وإصلاح الأمة الإسلامية. وليس ذلك خطوة اتخذتها على عجلٍ وتحت ضغوط من الأوضاع الآنية. وما تلقته دارالعلوم من الكتابات والرسائل في الرد على موقفها والرد على الرد، يثير قلقًا واضطرابًا شديدين، ويقوم على سوء الظن بمشايخ دارالعلوم/ ديوبند، والافتراءات الكاذبة الباطلة عليهم، على عكس ما كان عليه "بنغله والي مسجد" سابقًا. ويتواصل تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية الخاطيء والمرجوح والانحراف عن جادة كبار مسؤولي جماعة الدعوة والتبليغ في التفكير حتى بعد هذه المراسلات والكتابات. وأما ما ينشره بعض الفضلاء من الكتابات المناهية لموقف دارالعلوم/ ديوبند فلا يرجع إلا إلى الدجل والتلبيس والمغالطة والخيانة العلمية، والانهيار الخلقى.

كلمة أخيرة

ومن أهم ما يجدر الإشارة إليه - مما أدعو علماء الحق، وخاصةً خريجي دارالعلوم/ ديوبند إلى النظر والتأمل فيه - هو أن اعتزال دارالعلوم/ ديوبند للخلافات الداخلية في جماعة الدعوة و التبليغ، إن دل على شيء فإنما يدل على سمو مكانة مشايخها وكبار علمائها.

وإن المؤسسة التعليمية التي تخرج منها الشيخ محمد إلياس، ثم بدأ هذه النشاطات الدعوية، ولم يدع فرصة من فرص الاستشارة مع كبارها وعظماؤها إلا فعل، وأرسل إليهم كتابات و رسائل، ودعاهم إلى المشاركة في الاجتماعات التي تعقدها جماعة الدعوة و التبليغ، وطلب منهم الإشراف على هذه النشاطات والأعمال الدعوية، ولم تتعرض هذه الجماعة لهجوم في بقعة من بقاع الأرض، من قبل الفرق الباطلة أو الضالة إلا قام علماء دارالعلوم في وجهها وسدوا طريقها إليها، وحاولوا الإبقاء على ثقة عامة الشعب بهذه الجماعة - بلغ بعض مسؤولي هذه الجماعة اليوم من الاستغناء عن هذه المؤسسة التعليمية - أنها تعدم - في حين أضرمت نار الاختلاف في العالم كله، ويتحول الأقارب أباعد، ويسود الفوضى والنفور، وأصبحت المساجد تتعرض للتشطير بحواجز وجدران داخلها، ونارت نائرة الشقاق والفرقة في الأحياء والحارات؛ بل في البيت الواحد، وبين الأب وابنه، والأخ وأخيه، وتفاقم الأمر في بعض المناطق إلى الطلاق بين الزوجات - تعدم في مثل هذه الأوضاع الحرجة من الثقات الكبار من يدعوون ليقوموا بحل هذه المشكلة عن طريق الحوار والمحادثات، حتى يستتب الأمن والأمان في الأمة الإسلامية؟ لا يخفى على العالم أنه لا يقدر على إطفاء نار الاختلاف والشقاق إلا رجل واحد - هو الشيخ محمد سعد وحده -، وغير خافٍ على العالم أنه لم تصدر منه أدنى محاولة لاحتواء هذا الاختلاف، نعم رأينا أنه لم يتقدم علماء ديوبند أوغيرهم من الشخصيات الثقات المحترمة في الهند وخارجها للإصلاح و التوفيق وتضييق الفجوة إلا اعتذر الشيخ سعد إليهم قائلاً: "هذه قضية تخصصنا، وترجع إلى الإدارة والتنسيق،

سنتولى حلها ولايسعنا تحكيم أحد فيها؛ بل خَلَقَ أوضاعاً تفوق الوصفَ والبيانَ ضد كل من حاول القيام بالوساطة لحلها، وما القصة التي حدثت مع بعض العرب الكرام ببعيد.

هل يحرم التحكيم في مثل هذه الأوضاع العصبية، ولايجوز؟

يعارض هذا مبادئ كبار مسؤولي الدعوة والتبليغ؟

هل هذا الموقف يبرر الإبقاء على مرجعية "بنغله والي مسجد"؟

هل يمكن مواصلة هذه الجهود الإصلاحية العظيمة بالانحراف عن جادة المشايخ

ومعظم علماء الحق والفتنة الجادة في الأمة؛ بل بالمعارضة والمواجهة معها؟

وهل هذا الجهد والسعي على الاتجاه الحاضر يُورث الأمة رغبةً في الدين، أو يسبب

الفتنة والفساد والاعتياب والاتهام والافتراء؟

ألم يكن اجتمع أكابر ومشايخ الدولة في "بنغله والي مسجد" بعد وفاة الشيخ محمد

يوسف رحمه الله، وتداركوا خرقاً قبل اتساعه وفتنة عمياء قبل أن تتفاقم ويستفحل شرها؟

أفليس في مشايخ وعلماء الهند - إذا كانت دارالعلوم/ ديوبند غير مستحقة للعناية -

عددٌ منهم يُرجع إليهم للتشاور في هذه القضية، ويتم التوصل إلى الاجتماع وتوحيد الكلمة؟

أليس يحول دون ذلك بعض هؤلاء الفضلاء؟

يا للأسف! أنا أجهش بالبكاء حين أسمع كبار علماء ديوبند يقولون: نحن غير

منحادين إلى أحد من الفريقين، ويأخذني التفكير بالخناق، وأقول: ليت شعري ما الذي يدفع

إلى هذا الاستغناء؟ وأي مبدأ من مبادئ الدعوة والتبليغ وسلوكها يملي ذلك عليهم، أمام

عظمة ووقار هذه الشخصيات التي تعتبر أئمة وأسوة للأمة، وخلفاء علماء ديوبند، وناطقين

بلسان أهل السنة والجماعة، واقفين بجانب النشاطات الدعوية وأعمالها؟

وأما التعرض للاختلاف الذي يتسرب إلى خاصة الناس والمنظمات الأخرى فليس

في وجهه، فإن المنظمات والجماعات الأخرى بإمكانها أن تواصل مسيرتها وتحمل رسالتها إلى

الناس رغم الاختلاف الداخلي، وأما نشاطات الدعوة العظيمة هذه فهي على صلة بكل فرد

من الأفراد، وبكل بيت من البيوت، فمن المستحيل أن نقوم بتحقيق أهداف هذه النشاطات

على الوجه المطلوب بالازدواجية في السلوك. فإن ذلك مما يوجب بذل الوقت الغالي من الحياة في استمالة الناس وتغليط الآخرين والرد عليهم، وتعود نية إصلاح النفس مغلوباً على أمرها، وتتغلب فكرة إصلاح الناس، ويفوت هدف عقد الاجتماعات الدعوية وإخراج الناس مع جماعة الدعوة. وتتغير أسس تلبية حاجات المناطق، ويعود التأليف بين المناطق وتفريقها والمباعدة بينها أساساً وأكبر همّ بدلا من التفكير في اللادينية والغفلة والأوضاع السيئة التي يعيشها المسلمون. وتسود الدعوة إلى الشخصيات والأبنية بدلا من الدعوة إلى الدين.

يطلب هذا العبد الفقير من الشيخ محمد سعد وأتباعه وخاصةً من بعض الفضلاء بإخلاص أن يراجعوا موقفكم في مثل هذا الوقت ولو مرة واحدة، ويتوسعوا في الأمور الخلافية الخاصة بالمنهج والطريق. وتبين اليوم أن الأسس التي كان يقوم عليها اختلاف أنصار الدعوة القدماء والمسنيين وأحبائها حين نبّهت دارالعلوم على واحدٍ من هذه الأسس استعد الشيخ محمد سعد للتنازل عن موقفه لحد ما، رغم أن هؤلاء الأبناء والأنصار كانوا يلفتون الانتباه إليه منذ زمن غير قصير، ولكن الشيخ محمد سعد حمل تنبيههم المخلص على العداوة الشخصية والبغضاء الذاتية، حتى بلغ الأمر ما بلغ. ولكن الفرصة لم تُفُلت، ومن الممكن التغلب على الوضع، ومن الممكن التأليف بين القلوب.

كما أتقدم إلى الأكابر الذين اعتزلوا "بنغله والي مسجد" بكل أدب واحترام بألا يدخروا جهداً وسعيًا من شأنه أن يعين على صيانة الدين بجانب الحفاظ والإبقاء على وحدة الصف و وحدة الكلمة، ما استطاعوا إليه سبيلا، ويتوسعوا في الخلافات الفرعية ما وسعهم. كما يتقدم العبد الفقير إلى أكابر العلماء والمشايخ العظام في العصر الراهن بأن يتقدموا ويرثوا حال الأمة، ليتوصلوا إلى سبيل جامع للتفكير والتأمل في هذه المشكلة العويصة. وأتضرع إلى الله تعالى وأدعوه أن يحفظ نشاطات الدعوة هذه من كل سوء ومكروه، ويتجاوز عن أخطائنا جميعاً.

رجوع الشيخ محمد سعد مرة أخرى
جوانب منه تستدعي النظر والتفكير
ودراسة علمية للبيانات والخطبات التي ألقيت بعد
رجوعه

بقلم

المفتي خضر محمود القاسمي

رقم الجوال: 9538740400

نظرة عابرة على بعض البيانات الصادرة بعد الرجوع عن موقفه

- الخروج مع الجماعة أمر من أوامر الله التي لا ينوب عنه شيء، والخروج هو الدعوة في الأصل، ومن لم يفهم الخروج، فقد أنكر الدعوة إنكاراً صريحاً، وليس من الدعوة في شيء تبليغها بوسيلة من الوسائل، وإنما الدعوة المشي بالدين وتبليغه.
- إن المأمورين بـ(النفر) هم من الأمة من كان عليه مسؤولية من مسؤولياتها، وتخلف أبي بن كعب عن الخروج سنة من السنوات فكان يعرضُ بنان الندم حياته كلها.
- كان الصلحاء صوفية، ولم يكونوا أنصاراً للدين، فالصوفي هو المتدين الذي يمثل الدين، وليس ناصرًا له، قد تظهر الكرامات على جهودهم ومساعدتهم، وأما ظهور النصره فلا، فالصالحون ذوو كرامات، وليسوا ذوي جهود ومساعد.
- الدعوة هي النصره للدين، وأما المساعدة المالية فليس من نصره الإسلام في شيء.
- كان الصحابة يعدون العودة من المدينة المنورة إلى بلادهم أيضًا ارتدادًا عن الدين، وأنتم لاتقرؤون في الواقع، وإن الإباء عن القدوم إلى (نظام الدين) ليس أمره هينًا.
- أرى التولي عن المشورة أشد من (التولي يوم الزحف).
- يجب أن نفهم الدعوة في ضوء سيرة الصحابة مباشرة، وأما الاستفادة من الشخصيات في الماضي أو الحال، وذكرهم فيعني التدلي من الأعلى إلى الأسفل.
- إن المشورة واجبة وجوب الصلاة؛ بل المشورة أهم من الصلاة، ويجب المشي إلى المسجد للمشورة وجوب المشي إلى المسجد للصلاة.
- إن عثمان -رضي الله عنه- قضى على مرجعية المدينة المنورة، ولذا انحسرت الخلافة عنها. وكثير من أمثال هذه الأقوال قالها الشيخ محمد سعد - بعد إرسال الردود إلى دارا لعلوم / ديوبند- في جمع ممن يقدمون إلى مركز الجماعة ممثلين لولاياتهم على كل ثلاثة أشهر، وسيمرُّ

بكم تاريخ هذه البيانات وذكر ما يتطلب من الإشارة إلى السياق والسباق، ودراساتها العلمية، و الانطباعات التي تركها هذه البيانات في قلوب الناس في الصفحات

.....

رجوع الشيخ محمد سعد مرة أخرى
جوانب تستدعي النظر والتفكير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله

وصحبه أجمعين، أما بعد:

تبثُّ مواقع التواصل الاجتماعي مقطعاً صوتياً يتضمن رجوع الشيخ محمد سعد عن

قصة موسى عليه السلام.

أمور تستحق النظر والتأمل

طالبت دارالعلوم/ ديوبند قبل سنة الشيخ محمد سعد بالرجوع عن قصة موسى عليه السلام على سمع الأرض وبصرها، وبدلاً من أن يرجع الشيخ عنها ظل يبعث في خطباته وبياناته ردوداً بالغمز والهمز، وظل أتباعه وأحباؤه ينشرون ردوداً وكتابات جوابية صريحة، وبثت مواقع التواصل الاجتماعي اتهامات سخيفة ولا أخلاقية موجهة إلى مسؤولي دارالعلوم/ ديوبند وأهل الإفتاء فيها، ولم يقم الشيخ محمد سعد أو أحد من أنصاره وأحباؤه بالرد عليها والتبرئ منها؛ بل ظهر منهم موقف شنيع للغاية، ولا يليق بنا سرد تفاصيل الوقائع والأحداث، وإنما نكتفي بالقول بأنهم شنوا حركة تزعزع الثقة بدارالعلوم/ ديوبند، وأخذوا يثيرون الخلافات التي أكل عليها الدهر وشرب، ووجهوا الطعون إلى مشايخها في العصر الحاضر، وقاموا بتعليقات منقوضة الأساس على الفتاوى الصادرة من دارالعلوم في محاولة لزعزعة ثقة الناس بدارالعلوم/ ديوبند، وهي مستمرة ليومنا هذا، ويقوم أحد خريجي دارالعلوم من النازلين في مركز نظام الدين في معظم الأحوال ببثّ تعليقات باطلة منقوضة الأساس على الفتاوى الصادرة من دارالعلوم/ ديوبند قديماً وحديثاً على مواقع التواصل الاجتماعي باسم مستعار (أبو عبد الله نو). وعلى كل، لما ظهرت قضية الشروط التي اشترطتها بنغلاديش لدخول الشيخ محمد سعد إليها، اتجه بعض الفضلاء اتجاهها آخر، وأقنعوا الشيخ محمد سعد بالرجوع عن موقفه.

والرجوع أمرٌ يجب أن نرجح في خصوصه جانب إحسان الظن بصاحبها، كما يجب

التحاشي عن ربطه بهدف خاص ما أمكن ذلك؛ فإن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، وندعو الله

تعالى أن يثبت الشيخ سعد على رجوعه هذا، ويجبّه ما يدفع إلى مزيد من عدم الثقة به كما سبق في الماضي.

ولكن الأمر الذي يتطلب التفكير والتأمل في حد ذاته هو أن اختلاف دارالعلوم معه اختلاف قائم على المبادئ والأصول، كما يتجلى من الفتوى الصادرة منها، وأما مجرد الرجوع عن قوله في قصة موسى عليه السلام فليس من شأنه أن يكفي في كسبه ثقة العلماء به، وإن الخطبات التي يلقيها الشيخ محمد سعد خلال سنة واحدة منذ صدور رجوعه - الشيخ محمد سعد - في المرة الرابعة لم تزد أهل الحق إقلاقاً واضطراباً؛ فإنه يصدر منه كالمعتاد: الاجتهاد المتحرر من القيود، والأقوال المرجوحة، والتفسير بالرأي، وأسلوب الادعاء والاستدلال، واستنباط النتائج الباطلة من قصص الصحابة، والغلو في بيان أهمية نشاطات جماعة الدعوة والتبليغ، ورد الآراء المعارضة لها والتنكر لها، وأمثال ذلك حيناً بعد حين، ولا يزال ليومنا هذا، ولك أن تكتنّه فكرة الشيخ محمد سعد من خلال استماعك للكلمة التي ألقاها بعد رجوعه عن موقفه في 26 / ديسمبر عام 2017م، بيومين أو ثلاثة أيام.

ولو ذهبنا ندرس - دراسةً علميةً - كلّ كلمة ألقاها الشيخ محمد سعد بالاستماع إليها، لتجاوز عدد آرائه المرجوحة وأقواله الباطلة المئات. ولم أستمع إلا إلى بضعة من بياناته وكلماته، معظمها ألقاها في الاجتماع المنعقد في شهر ديسمبر بمناسبة التجمعات داخل البلاد على كل ثلاثة أشهر. ولا يعجز أهل العلم عن اكتناه الطبيعة بالرجوع إلى اقتباساتها.

والمهم هو إصلاح الفكرة التي تنشأ عنها هذه الأقوال والآراء. ومن الصعوبة بمكان إصلاح مثل هذا الانحراف الفكري ما لم يتبع المرء واحداً من علماء الحق مدة من الزمان، كما يجب التقيد بذكر الخصال الست في البيانات والخطبات التي تُلقى تجمعات الدعوة، شأن أكابر جماعة الدعوة والتبليغ الثلاثة؛ واجتناب إثارة الأقوال المستجدة والنكات المستحدثة، والادعاء والاستدلال؛ وسد باب الاستدلال المتحرر من القيود؛ والابتعاد عن التدبر في القرآن والسنة و سير الصحابة على أساس اعتبار إثارة النكت والاستدلال والاستنباط

ومنهج الجماعة الخاص نصب العين وهدفاً بعينه؛ والانحصار في دائرة جماعة الدعوة والتبليغ، الأمر الذي استمر منذ سنوات وسنوات.

والاتجاه الذي يسلكه الشيخ محمد سعد في بياناته وكلماته بعنوان: توسعة نطاق نشاطات الجماعة، وجمع الأمة على الدعوة، والسير بنشاطات الجماعة مسير الصحابة رضي الله عنهم - يضرُّ ضرراً فادحاً، ولن يجلب هذا الاتجاه على الأمة إلا الفوضى والتفرق، كما أنه يستأصل ما تبقى من ثقة علماء الحق بالشيخ محمد سعد وأتباعه.

XXXXXXXX

دراسة علمية لبعض بيانات الشيخ محمد سعد

علاوة على قصة موسى عليه السلام

بعد إرسال الردود من دارالعلوم / ديوبند

هذه الاقتباسات ترجع إلى أربعة أو خمسة من بيانات وكلمات الشيخ محمد سعد،
ونحتفظ بمقاطعها الصوتية، ولم يفتننا ذكر السياقات والسباقات لهذه البيانات

فيما يلي نهدي إلى أهل العلم بعض بيانات الشيخ محمد سعد، ودراستها دراسةً علمية، راجين أن تتم قراءتها قراءةً متأنية، والنظر فيها وصل الأمر إليه.

ونبدأ بذكر ثلاثة اقتباسات من موقف دارالعلوم/ ديوبند،

(1) ”نرى من واجبنا الديني أن ننبه الأمة الإسلامية، وخاصة العاملين في مجال الدعوة والتبليغ

كلهم، على أن الشيخ سعد -بناءً على قلة بضاعته في العلم- أخذ ينحرف في أفكاره ونظرياته وتفسيرات الكتاب والسنة عن جادة جمهور أهل السنة والجماعة، ولاشك أنه طريق إلى الضلال والغواية، فلا يسع السكوت على ذلك، فإن هذه النظريات - وإن كانت رأي فرد من الأفراد- تنتشر بسرعة في عامة الناس“.

(2) ”تلقينا بعضاً من اقتباسات هذه البيانات والخطبات التي تُبلور أن مفهوم الدعوة العام

لا يشمل إلا ما عليه جماعة الدعوة والتبليغ من الترتيب والمنهج فيما يرى الشيخ سعد. وهو الذي يصفه الشيخ سعد بطريق ”جهد الأنبياء والصحابة“. ويعتبر هذا الترتيب الخاص من الدعوة هو السنة وما صدق جهد الأنبياء عليهم السلام، مع أن جمهور الأمة على أن الدعوة والتبليغ أمر كلي، ولم تُوجب الشريعة ترتيباً خاصاً به، يستلزم تركه ترك السنة. واختلفت وجوه الدعوة والتبليغ على اختلاف العصور والأزمان، ولم يقصر قرن من القرون في القيام بواجب الدعوة والتبليغ، وقد سلك - بعد الصحابة - التابعون ثم تابعوهم والأئمة والمجتهدون والفقهاء والمحدثون والمشايخ وأولياء الله، وكبار علمائنا في العهد القريب طرقاتاً مختلفة في الدعوة والتبليغ على المستوى العالمي حفاظاً على الإسلام حياً نابضاً“.

(3) ”إنه يشرح أهمية نشاط الدعوة والتبليغ بأسلوب يستلزم النيل من شعب الدين الأخرى نيلاً

عظيماً، واستخفافاً بها. إنه يستلزم الرد والتنكر لما كان عليه السلف من الطرق القديمة للدعوة والتبليغ، كما أنه ينقص من أهمية ومكانة جهود السلف الصالح وكبار العلماء، بل يوجب الاستخفاف بها. وسلوكه هذا يعارض -على طول الخط- ما كان عليه مسؤولو الدعوة السابقون أمثال الشيخ محمد إلياس، والشيخ يوسف، والشيخ إنعام الحسن رحمهم الله“.

(فتوى صادرة من دارالعلوم/ ديوبند في خصوص الشيخ محمد سعد)

لننظر الآن في بيانات وخطبات الشيخ محمد سعد في أعقاب رجوعه عن الموقف

بيانه في

17 / ديسمبر عام 2017م، بعد صلاة الفجر

”هم أربعة أنواع من الناس أنعم الله تعالى عليهم، ومعظم هؤلاء الأربعة هم المجدون والمجتهدون: النبي، والصديق، والشهيد؛ ونوع منهم صالحون، وثلاثة أنواع منهم مجدون ومجتهدون؛ ونوع واحد منهم هم أصحاب الكرامات. والنوع الناصر منهم هم القائمون على الدعوة. والنصرة الغيبية للصحابة كانت مشروطة بالدعوة (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ)، وأما الصوفي فرجل متدين يسلك مسلك الدين، وليس ناصرًا للدين، وقد تظهر الكرامة بمساعي أمثال هؤلاء، وأما النصره فلن تظهر“.

”كل نصره غيبية ترجع - في الأصل - إلى الدعوة، فإذا مشى الرجل بالدعوة إلى الناس، فعارضه الباطل فإن الله تعالى نفسه يتولى دفع ومقاومته، فيجب أن ندرك الدعوة ونفهمها. فليس من الدعوة في شيء إيصال الرسالة بأي وجه كان؛ بل الدعوة هي المشي بها إلى الناس، فهذا هو الفرق بين هذا العمل الدعوي وبين الحركات الأخرى، لانتشبه بالحركات الأخرى، وإنما نتشبه بسيرة الصحابة“.

”إن الدعوة هي منهج جهد الصحابة، وأصلها الأصيل هو التنقل والتحرك؛ لأن الخروج من أمر الله الذي لا بديل له، والخروج هو الدعوة في الواقع، قد أنكر الدعوة إنكارًا صريحًا وتنكر لها من لم يفهم الخروج“.

هذه الكلمات والبيانات أُلقيت في مجلس جمع كبار المسؤولين عن الجماعة في البلاد، الذين يقدمون إلى مركز نظام الدين ممثلين لمناطقهم بعد كل ثلاثة أشهر لتلقي التوجيهات والإرشادات منه.

وأهم ما يستدعي النظر من هذه البيانات أمران اثنان:

يقول الشيخ محمد سعد وهو يفسر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء / 69]:

”هم أربعة أنواع من الناس أنعم الله تعالى عليهم، ومعظم هؤلاء الأربعة هم المجدون والمجتهدون: النبي، والصديق، والشهيد؛ ونوع منهم صالحون؛ وثلاثة أنواع منهم مجدون

ومجتهدون؛ ونوع واحد منهم هم أصحاب الكرامات. والنوع الناصر منهم هم القائلون على الدعوة. والنصرة الغيبية للصحابة كانت مشروطة بالدعوة {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} [محمد/ 7]، وأما الصوفي فرجل متدين يسلك مسلك الدين، وليس ناصرًا للدين، وقد تظهر الكرامة بمساعي أمثال هؤلاء، وأما النصره فهيات وهيات“.

ويجعل الشيخ محمد سعد النصره مشروطة بالدعوة، ثم يحصر معنى الدعوة - لاحقًا- في المشي بالدعوة، ثم يفسر الآية الكريمة تفریعًا عليه، وهذا ما يطلق عليه "التفسير بالرأي"، وهو أن يضع المرء فرضية في نفسه وذهنه، ثم يحاول الاستدلال عليها بالآية. هل ذهب أحد من المفسرين إلى الفرق بين الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين على أساس من الجهد والنصرة للدين، فمن الخطأ الشنيع الفرق بين الصالحين وبين الطبقات الثلاث الأخرى على أساس من الجهد والنصرة، ثم إخراج الصالحين من الناصرین للدين، والطعن فيهم بأنهم أصحاب كرامات. وما الدليل على حقيقة النصره والدعوة والخروج والنفر هذه؟ هل من دليل على أن الدعوة ما صدقها هو المشي بها لا غير؟

ألا يعارض هذا التفسير ما عليه جمهور أهل السنة والجماعة؟ أليست هذه فكرة خطيرة، تفتح بابًا إلى التحريف في النصوص؟

إن الشيخ محمد سعد وأنصاره أصبحت لهم نظرية خاصة متمثلة فيما يلي:
 "هذه الصورة الخاصة من الدعوة هي أعمال الدعوة، وعليه يقولون: ثمة فرق بين أعمال النبوة و أعمال الولاية، فليس الأولياء دعاة إلى الدين، فقد ترك الناس الدعوة بعد الصحابة الكرام".

ويشرحون هذه النظرية بأساليب ووجوه مختلفة، ويبلغ من الخطورة كل مبلغ ما قاله الشيخ سعد ذات مرة: "إن الاختلاف في الدعوة والتبليغ مما نشاهده اليوم يرجع في الواقع إلى الاختلاف بين الدعوة والتصوف". (نحتفظ بمقطع صوتي لقوله هذا).

اعتبر موقف دارالعلوم هذه النظرية باطلًا منقوضة الأساس بصراحة، ولكن بدأ أنصار الشيخ محمد سعد يحاولون اليوم إثباته بتفسير القرآن الكريم بما يملئ عليهم أهواؤهم. ولمزيد من التفاصيل في ذلك يرجع إلى الرسالة الأولى التي أعدها كاتب هذه السطور.

خطبة أخرى ألقاها الشيخ محمد سعد بعد إرسال

الردود بشهور عدة

”أصغوا إلي بآذانكم، وإنما قرأت الكتاب اليوم على خلاف الترتيب الذي أسلكه، إن الصحابة الذين فُتِنُوا، لأننا في هذا العصر نحمل ”الارتداد“ على الارتداد عن الإسلام، أصغوا إلي بآذانكم، إنما يطلق الارتداد على الارتداد عن الإسلام في عصرنا هذا، وإلا فإن الصحابة كانوا يعتبرون العودة من المدينة المنورة إلى بلادهم ومناطقهم – ارتدادًا، أود أن أقول: إن العملة والطاقم كان على اجتماع، كان على اجتماع جعل الصحابة يعتبرون العودة إلى بلادهم ومناطقهم من المدينة المنورة ”ارتدادًا“. ويعتبرون العودة إلى مناطقهم وبلادهم ارتدادًا، إنكم في الواقع لاتقرؤون، وإن القدوم إلى مركز نظام الدين ليس أمرا هيئًا، كنت أفكر في ذلك صباحًا، فهذه قبيلة ”أسلم“ قدمت المدينة فمرضوا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”أيها الأعراب، قد مرضتم بعد قدومكم هنا، وإنكم قد اجتويتم المدينة، فارجعوا إلي بدوكم لتعديل الجو حتى تعود إليكم الصحة لبرهة من الزمان“، فقالوا: يا رسول الله، لايسعنا أن نرتد،... فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”ليس هذا ارتداد؛ فإني أنا الذي أرسلكم، فإنكم ستلتقون ثمة العلاج والدواء“

وقبل أن نعلق على هذا الاقتباس، نورد نص كتاب ”حياة الصحابة“ الذي قال

الشيخ سعد ما قاله مستنبطاً منه، وهو:

”أخرج أبو نعيم عن إياس بن سلمية بن الأكوع رضي الله عنه، قال: أصاب أسلم وجع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أسلم، ابدوا، قالوا: يا رسول الله، نكره أن نرتد، ونرجع على أعقابنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنتم باديتنا، ونحن حاضر تكم، إذا دعوتونا أجبناكم، وإذا دعوناكم أجبتونا، أنتم المهاجرون حيث كنتم، كذا في كنز العمال، (حياة الصحابة 1 / 443، باب هجرة بني سليم، الباب الرابع، باب الهجرة).

حمل الشيخ محمد سعد قولهم: (نرتد) على الارتداد عن الدين، فاستنبط منه المبدأ

القائل:

”في هذا العصر نحمل ”الارتداد“ على الارتداد عن الإسلام، أصغوا إلي بأذانكم، إننا يطلق الارتداد على الارتداد عن الإسلام في عصرنا هذا، وإلا فإن الصحابة كانوا يعتبرون العودة من المدينة المنورة إلى بلادهم ومناطقهم - ارتداداً“.

يا للأسف، حمل (العودة) على الارتداد عن الدين، ثم استنبط منه ما استنبط، في حين أنه لا معنى للارتداد عن الدين هنا، ولك أن تقدر بذلك مدى الكفاءة العلمية التي يتمتع بها الشيخ سعد، ويوسفنا أن ما قاله الشيخ محمد سعد حكي مثله عن أبي الأعلى المودودي أيضاً، حيث قال - وهو يشرح مكانة جماعته الإسلامية -:

”ليس هذا الطريق الذي يستوي فيه التقدم والتأخر، فإن التأخر هنا يعني الارتداد، يعني الارتداد و النكوص عن الله تعالى“.

(الاجتماع الأول للجماعة الإسلامية، شعبان، 1360 هـ، ص: 9)

خطبة ألقاها

في 18 / ديسمبر عام 2017م بعد صلاة المغرب

”كان عمر يقول: اعرضوا علي ما أشكل عليكم في المدينة، كان يمسك القدماء عنده، للحفاظ على المركزية؛ فإن القدماء إذا تفرقوا في البلاد، وسألهم الناس عما يشكل عليهم، فإن المرجعية التي تتمتع بها المدينة تتلاشى، وضجر الناس من تقييد عمر، وأطلق عثمان هذا القيد، وهذا ما أدى إلى انتهاء الخلافة من المدينة“.

وإن لم يتوخ الشيخ سعد الطعن في عثمان، والإساءة إليه إلا أن التحرر الفكري وقلة البضاعة في العلم أدّى به إلى الطعن في مكانة صحابي جليل وخليفة راشد بهدف الاستدلال على ما ادعاه. اللهم احفظنا منه.

كان الشيخ المجدي السرهندي يقول:

”إن التعرض لذكر الصحابة بأسلوب يوهم إيهامًا، أو انتقاصًا أو ينافي مكانتهم السامية من شأنه أن ينقص من فائدة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، فانتبهوا“.

خطبة ألقاها

في 17/ ديسمبر عام 2017 م ، بعد الفجر

”يقدم الناس مساعدةً ماليةً في سبيل الدين، وإن المساعدة المالية مساعدة للمسلم، وليس مساعدة للإسلام، المساعدة المالية التي تنفع الإسلام فقط وتفيده، هو مساعدة المسلم، والمساعدة المالية ليست دعوة، وليست نصره للإسلام، وإنما هي مساعدة وعونٌ لمسلم من المسلمين، فلو أنك أعطيت رجلاً ما في الدنيا من الأموال، فأنفقها كلها في مرضات الله تعالى؛ فإنه لا يعدل الخروج في سبيل الله لمدة نصف يوم، وإن النصره في الأصل هي الدعوة إلى الله تعالى، وإنما الدعوة أن يمشي بها المرء بنفسه، وأما إرسال الرسالة فليس دعوة“.

هذا الاقتباس أخرج المساعدة المالية في وجوه البر والخير من معنى نصره للإسلام، وحصّر نصره للإسلام في طريق خاص من الدعوة، وأن النصره هي الدعوة لاغير، والدعوة هي المشي بها شخصياً.

ألا نَصِفُ ما قَدَّمه الصحابة من المساعدات المالية في وجوه الخير بمساعدة للإسلام؟ في حين ورد الحديث: ”من جهز غازياً فقد غزا“، أي أن من قدم مساعدة مالية لمجاهد من المجاهدين فكأنما جاهد بنفسه. وتزخر كتب السيرة بقصص المساعدات المالية التي قدمها أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وكيف أنهم قَدَّموا مساعداتهم المالية حين الغزوات، حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم ذات مرة فرحاً بما قدمه عثمان رضي الله عنه من المساعدة المالية: ”ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم“. هل يسع أحداً له مسكّة من العلم في الدنيا أن يقول- والعياذ بالله منه-: ليس هذا نصره للإسلام؟ وأما الفرق بين نصره للإسلام ونصره للمسلمين فلا أساس له، كما أنه يعارض النصوص.

خطبة ألقاها

في 18 / ديسمبر عام 2017م، بعد المغرب

”إن الفرار من المشورة أشد من الفرار من الزحف، يفر المرء من المعركة صوناً لنفسه، وأما المشورة فيفر منها المرء تخلصاً من المسؤولية، و الشجاعة أمر طبيعي، وأرى التولي عن المشورة أشد من التولي يوم الزحف“.

إن الفرار من المعركة في الجهاد كبيرة من الكبائر، ورد الحديث الشريف بالوعيد الشديد عليه، ويقول الشيخ محمد سعد: التولي عن المشورة أشد منه، ليت شعري ما الهدف من وراء بيان هذا الوعيد المزعوم بناءً على هذا الاجتهاد المزعوم للناس، حفظنا الله تعالى من عقلية الناس ، التي تنشأ عن مثل هذا الوعيد المزعوم.

خطبة ألقاها

في 18 /ديسمبر عام 2017م بعد صلاة المغرب

”من أعظم أعمال المؤمنين بالله تعالى الجماعي هو الصلاة، وثانيها: المشورة، وقرن القرآن الصلاة بالمشورة في الذكر، وذلك لبيان أن عمل الدعوة له المشورة، وذلك لبيان عدة أشياء: أن المشورة عمل جماعي كما أن الصلاة عمل جماعي، وكما يجب الإعراض عن كل شيء للتوجه إلى المسجد لإقامة الصلاة، كذلك التوجه إلى المشورة هام و واجب مثل الصلاة، وكما أنه لاصلاة منفردة، كذلك لامشورة منفردة. وكما أن المسجد الواحد لاتقام فيه إلا صلاة واحدة، وحضور صلاة واحدة يكمن فيها أهمية الصلاة، وهو من السنن المؤكدة، وهكذا خذوا مشورتكم بالسيرة والسنة النبوية“.

المشورة عمل مستحب، ولاخلاف في أهميتها في موضعها، وأما ربط أحكام الصلاة و آدابها كلها بالمشورة - بناءً على أن القرآن الكريم قرنها بالمشورة في آية واحدة-، والقول بأنه يجب التوجه إلى المسجد للمشورة كما يجب التوجه إلى المسجد للصلاة، وكما أنه لاتقام جماعتان في مسجد واحد، كذلك لاتجوز مشورتان في مسجد واحد فما أشد جهلاً!! لقد قرن القرآن الكريم الزكاة بالصلاة في مئات من الآيات، فهل ذكر المفسرون أحكام الصلاة آدابها في الزكاة أيضاً، هذا تفسير بالرأي، ولن تجد أحداً من المفسرين يقول ذلك. وليت شعري ما الذي دفع إلى الاستدلال بآية قرآنية في ثنايا بيان هذه النكات الخاصة بالمشورة؟ نحن مقيدون

بالتفاسير الموثوق بها، وأما إثارة النكات من عند أنفسنا فزلة شنيعة، لانقف عند حد من الحدود.

خطبة ألقاها

في 18/ ديسمبر عام 2017م بعد صلاة المغرب

”المشورة الواردة في السيرة كانت قاصرة على الشؤون الإدارية، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير في الحروب. فيجب الاعتناء بالمشورة في الشؤون الإدارية، لا أن نستشير في أعمال الدعوة، فإنها منصوص عليها، وإنما المشورة في الأمور الإدارية، فمثلاً: نريد أن نبني مسجداً، أو نعقد اجتماعاً، نلتمس الموقع، ومن نرسله إلى الجهة الفلانية، ومن ذا نعينه للعمل الفلاني، هذا كله له مشورة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير في الشؤون الحربية“.

والحق أن الشيخ محمد سعد لا يعتبر من أعمال الدعوة إلا ما بدأه هو على ترتيب جديد منحرفاً عن جادة أكابره الثلاثة السابقين، وهو من أعمال الدعوة عنده في الأصل، ويعتبره منصوصاً عليه، ويقول: إنه في غنى عن المشورة، ويستدل على ذلك بأن المشورة إنما تتعلق بالشؤون الإدارية، ولا تشير السيرة النبوية إلى المشورة إلا في الشؤون الإدارية.

وحقاً، إنه لامشورة في الأحكام المنصوص عليها؛ ولكنه - أولاً - من الخطأ اعتبار غير المنصوص عليه منصوصاً عليه، كما أن إنكار المشورة في الأمور الدينية غير المنصوص عليها يخالف ما ذهب إليه الجمهور، فيقول الشيخ حبيب الرحمن العثماني رحمه الله - رئيس دارالعلوم سابقاً -:

”أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالمشورة هل كان عاماً وشاملاً لجميع الأمور الدينية أو قاصراً على القتال والحرب؟ اختلفوا فيه: فذهب بعض أهل العلم إلى أن الأمر بالمشورة كان خاصاً بالمعارك والتدابير الحربية (بالشؤون الإدارية)، وذهب الجمهور إلى أن الأمر بالمشورة كان عاماً للأمور الدينية كلها، دون التخصيص بالحروب والمعارك، وما ذهب إليه الجمهور هو الراجح والصواب“.

(أهمية الشورى في الإسلام، للشيخ حبيب الرحمن العثماني، رئيس دارالعلوم سابقاً؛ جواهر

الفقهاء).

خطبة ألقاها

في 18 / ديسمبر عام 2017 م، تعليم كتاب حياة الصحابة،

بعد صلاة العشاء

”لا تتصور الدعوة على عهد الصحابة من غير الخروج والنفر، وأصبح المسلم اليوم يتصور الدعوة من غير خروج ونفر؛ بل عاد يعتبر الدعوة من غير خروج دعوة، لقد اجتمع الصحابة على التنقل والتحرك مئة في المئة، ولن تجد أحداً من الصحابة تم استثناءه من الخروج، لن تجد أحداً من الصحابة تم استثناءه من الخروج، قد اجتمع الصحابة على التنقل والتحرك مئة في المئة، فيستحيل تصور الدعوة من غير الخروج والنفر، وهو أمر قاطع لا ريب فيه، ومن الجهل الشنيع الظن بأن الأمر بالخروج والنفر على ما كان في زمن الصحابة لم يعد اليوم. وإنما أقول ذلك لأن من الناشطين فئة كبيرة قعدت عن الخروج سنوياً، زعمًا منه أن الخروج مع جماعة الدعوة والتبليغ يُقصد من ورائه تعلم الدين، وحيث تعلمنا الدين، فهل يجب أن نتعلمه بالخروج؟ هلا نتعلمه في المكان الذي نحن فيه، مع أن الغرض من التنقل والتحرك هو الدعوة إلى الله تعالى، وكان الخروج قد عمَّ المجتمع عمومًا جعل المنافقين يعتذرون عن الخروج، ولا يسعهم أن ينكروه ويتنكروا له، فحينما كانوا يقولون: الحر شديد، وحينما يقولون: قد نضجت الثمار، وحينما يقولون: إن بيوتنا عورة، وحينما يقولون: ما هي مناسبة الخروج، وكان المنافقون على علم تام بأنهم لا يسعهم إنكار الخروج. لقد قعد الذين يظنون أن الخروج كان ليتعلم المرء الدين لنفسه، وقد تعلمنا الدين“.

خطبة ألقاها في اجتماع انعقد في مدينة ”سنبهل“ على جمع من العلماء

”إن النصر الغيبية من الله تعالى متوقفة على التنقل والتحرك في هذه السبيل، إن النصر الغيبية من الله تعالى متوقفة على التنقل والتحرك في هذه السبيل، وما لم يمش المسلم بالدعوة إلى الناس، اسمعوا، لن يتحقق أمر الله تعالى هذا، لن يتحقق أمر الله تعالى هذا، وما لم يمش المسلم بالدعوة إلى الناس لن يتحقق أمر الله تعالى هذا“.

”إن تنقل المسلم بالعمل لنشر الدين، فالسبيل إلى نشر الدين يكمن في أن يتنقل المسلم بدعوة الدين بنفسه، فهذه سبيل نشر الدين، ومن الجهل الشنيع اعتبار سبيل أخرى بديلاً عنها، إن من الجهل الشنيع اعتبار سبيل أخرى بديلاً عنها، وسبق أن قلت: إن نصره الله تعالى الغيبية مشروطة بالدعوة الفردية والتنقل والتحرك؛ لأن التنقل بالدعوة في سبيل الله تعالى هي السنة بعينها، فليس هذا العمل شبيهاً

بالسنة؛ بل هو السنة بعينها، ليس شبيها بالسنة؛ بل هو السنة بعينها، وليس ذلك أقرب إلى السنة؛ بل هو السنة بعينها“.

”{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا

قَوْمَهُمْ} [التوبة/ 122]، المراد بهؤلاء {المؤمنون} عند التأمل - هم العلماء أو من إليهم مسؤولية شعبة من شعب الدين فيما يبدو، وأنا أقول لكم قولاً هاماً، حين نتأمل في الآية يتبين لنا أن المراد بالأمر بالنفر هم الذين عليهم مسؤولية الأمة، ولذا أوضح لكم، فإنكم لن تجدوا في مكان النهي عن خروج كلهم في هذه السبيل، ولن تجدوا في مكان: النهي عن خروج الكل في هذه السبيل، وتخلف أبي بن كعب سنة واحدة عن الخروج، وكان سيد القراء، تخلف عن الخروج سنة، فكان يعضّ بنان الندم عليه، وذلك لأنه أمّر على الجماعة واحدٌ من أحداث الأسنان، فرأى نفسه أجلاً من أن يعمل بالدعوة تحت إمارته، فلم يتخلف عن الخروج إلا تلك السنة، وكان يقول: كنت أنحي باللائمة على نفسي، وأقول: ما لي وللأمير صغيراً كان أو كبيراً، جديداً كان أو قديماً، ما كان لي أن أتخلف عن الخروج تلك السنة، وبالنظر إلى هذه الأحداث يتبين أن مسؤولية النفر تقع على فئة من الأمة ألقيت عليها مسؤولية دينية للأمة“.

والتكليف الشرعي لعمل الدعوة، الذي كيّفه الشيخ محمد سعد في هذه الاقتباسات الثلاثة يُعارض ما عليه جمهور أهل السنة والجماعة على طول الخط، يقول الشيخ: إن هذه الطريقة الخاصة من الجهد طريقة مخصوصة منصوص عليها، وهي الطريقة المسنونة، فيعتبر الخروج مع الجماعة مقصوداً بعينه، ويعدّ عدم الخروج من دأب المنافقين، ويقول - وهو يفسر قوله تعالى: {فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ} -: إن المأمورين بالخروج والنفر (ولا يصدقان عند الشيخ سعد إلا على المشي بالدعوة بنفسه) هم الذين عليهم مسؤولية دينية. كما يقول: إن الخروج مع الجماعة ليس هدفه تعلم الدين، فقله هذا - أي الخروج مع الجماعة مقصود بعينه - هو الانحراف المبدئي الذي يقوم عليه الانحرافات كلها.

إن أهمية الخروج مع الجماعة مما لا يمكن إنكاره وجحده، وبالإمكان شرح فائدة الطريقة الخاصة والمنهج الخاص له وتأثيره بأحسن أسلوب، ولكن فتاوى أهل الإفتاء تشهد بأن الخروج مع الجماعة ليس مقصوداً بعينه، وإنما هو بمثابة سبب وذريعة، ولاتفيد كتابات كبار جماعة الدعوة والتبليغ أيضاً إلا بأن الغرض من الخروج هو ترغيب النفس في طلب

الدين، وليس الخروج مقصودًا بذاته. أليس من الجهل اعتبارُ الخروج مع الجماعة مقصودًا لعينه، واعتبار عدم الخروج من عمل المنافقين؟

لننقرأ فتوى أصدرها فقيه الأمة الشيخ المفتي محمود الحسن الكنكوهي:

”من الأهمية واللزوم بمكان تعلم الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، العملُ به، وتبليغه إلى الناس، وقد استشعرت الأمة بأهميته، اللهم إلا أنها لم تسلك في ذلك طريقًا واحدًا، ولم تُلزم الناس كلهم طريقًا واحدًا، وجماعة الدعوة والتبليغ المعروفة اليوم من طرق تبليغ الدين إلى الناس، وتأصيله في قلوبهم، وهي نافعة ومفيدة جدا، كما نشاهده، وأما من طلب العلم بطريق آخر، وبلغه الناس، فلا يجوز لعنه والظعن فيه أبدًا“.

(فتاوى محمودية 4 / 214)

نشرت مجلة ”ندائى شاهی“ الشهرية (العدد: ديسمبر عام 2017م) مقالا مفصلا للشيخ المفتي محمد سلمان المنصور فوري بعنوان ”لا ينحصر الدين في شعبة من الشعب“، نسوق هنا ثلاثة اقتباسات فقط منه:

”لا بأس ببيان الفائدة والتأثير المترتين على الوجه المخصوص والأسلوب المعين من الدعوة إلى الله تعالى، ولكن لا يجوز حمل أحدٍ على ذلك كما يحمل على الأحكام القطعية والنصوص القرآنية“.

”غير خافٍ أن المقصود الأصل منصوص عليه ومقطوع به، وثابت بالكتاب والسنة، والانحراف عنه يعني تجاوز حدود القرآن والسنة، وأما نظام العمل والمبادئ والأصول الإدارية والتنظيمية فليست منصوصًا عليها، كما لا يجب اتباعها شرعًا على كل واحد، وإنما اختارها مسؤولو الجماعة“.

”مما لاشك فيه أن الدعوة إلى الدين ونشره مقصودٌ وهدفٌ. ولكن لم تعين الشرع له وجهًا بعينه أو طريقة خاصة؛ بل تختف وجوهه وطرقه وفقًا للحاجة إليها ومتطلبات العصر والأزمان، مثلًا: الجهاد والوعظ، والخطابة والدرس والتدريس، والتصوف والإحسان، والإفتاء والتصنيف ونحوها. ويصدق مفهوم الدعوة عليها جميعا بصورة جزئية أو كلية. ومن حصر مفهوم الدعوة والتبليغ في طريقة خاصة فقد غلا وتعدى، وهو مرفوض شرعًا“.

خطبة ألقاها

في 18 / ديسمبر عام 2017م بعد صلاة المغرب

”فلو ظننا أنها طريقة مخترعة لكان إنكارًا للصحابة مباشرة، يقول الله تعالى في القرآن الكريم: {وَ
اذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ} [الأحزاب / 34]، فعلى النساء أن يجتمعن في البيوت على
تلاوة القرآن الكريم، ومذاكرة الآيات“.

يرى الشيخ سعد أن اجتماع النساء في البيوت على تعلم القرآن الكريم وتعليمه وعقد
الحلقات له عملٌ منصوص عليه. ولا تستغني المرأة بتعلم القرآن الكريم بمفردها؛ بل يجب
عقد الحلقات له. ويشدد الشيخ محمد سعد على هذا العمل ويصر عليه ويعتبره عملاً
منصوصاً عليه، ويورد الآية القرآن السابقة على أنها نص في ذلك، رغم أن المفسرين لم يقولوا
في تفسير الآية شيئاً من ذلك. ويُرجع إلى ”بيان القرآن“، و”معارف القرآن“ لمعرفة التفسير
الصحيح للآية.

مما لاشك فيه أن تعلم المرأة القرآن الكريم وقراءتها له واجب وحتم، وأما القول
بعقد حلقات قراءة القرآن الكريم، وحمل الآية عليه، واعتباره عملاً منصوصاً عليه، بجانب
عدّ كل من تحلّف عن عقد الحلقات منكرًا لعمل الصحابة، فباطل البتة.

خطبة ألقاها

في 23 / ديسمبر عام 2017م

”أصبح الناس اليوم ترنُّ الجوال في جيوبهم وهم في الصلاة، فانتقلت الأغاني بأنواعها إلى
المساجد عبر هذه الجوال، مع أن الواجب على من رنَّ جواله أن يقطع الصلاة ويغلق جواله، وإلا كان
عليه إثم الخلل الذي تسرب إلى صلاة الآخرين، فالذي يرن الجوال في جيبه عليه وحده إثم الخلل الذي
تسرب إلى صلاة المصلين، فعليه أن يقطع الصلاة، ويغلق جواله، لا يقولنَّ: كيف أغلق الجوال وأنا في
الصلاة“.

إن تشديد الشيخ محمد سعد النكير على ما يسود اليوم من سوء استخدام الجوال،
و ربما تسبب ذلك في الخلل في الصلاة- يستحق تشديده كل استحسان، وأما فتواه بوجوب

قطع الصلاة مطلقاً ومن غير تفصيل في المسألة، فتجاوز للحد. وتوضيح المسألة أن الجوال إذا رنَّ في الصلاة، فإن أمكن الضغط على زر الإغلاق بعمل قليل، فليفعل، فإن احتاج إلى عمل كثير، والصوت خفيف، فليدعه يرنُّ، ولا يقطع الصلاة، اللهم إلا إذا كانت الرنة تتضمن أغاني فاحشة أو موسيقى، مما يسبب شروداً وقلقاً للمصلين، ولا يسعه إغلاقه بدون عمل كثير، فيسوغ له أن يقطع صلاته ويغلق الجوال صيانةً لصلاة الآخرين من الخلل. و”بنغله والي مسجد“ الذي بدأ أهله يرفعونه إلى درجة المرجعية والمركزية في العالم، إذا ما صدرت منه فتاوى من غير تحقق وتأكد، وبدأوا يشرحون للأمة مسائل من غير تحقيق ناصبين أنفسهم مفتين، فلاتسأل عن العواقب الوخيمة التي تترتب عليه.

خطبة ألقاها

في 19/ يوليو عام 2017م

”هذه مشورة عالمية في مركز عالمي، لاتنفصل المشورة العالمية عن المركز العالمي، وهيئات ذلك. ولا يمكن إلى يوم القيامة؛ فإنه مركز عالمي وسيظل مركزاً عالمياً حتى تقوم الساعة“.

مما لاشك فيه أن الله تعالى ضمن للدين بالبقاء والحفظ إلى يوم القيامة، وسيظل الدين على أصله، ولم ينص سبحانه وتعالى على الضمان بالبقاء والحفظ لجماعة بعينها أو بقعة بعينه. و أما زعم الشيخ محمد سعد فيما يخص ”بنغله والي مسجد“ أنه سيبقى إلى يوم القيامة فتجاوز للحد، والغيب عند الله تعالى.

(مستقاة من مقال الشيخ المفتي محمد سلمان المنصور فوري المنشور في مجلة ”نداء شاهي“

العدد: ديسمبر عام 2017م)

قول الشيخ محمد سعد: لم يكن لأصحاب الكهف كلب؛ بل أسد

صرح الشيخ سعد بذلك في كلمة ألقاها، فذكر قول الجمهور بأنه كان لأصحاب الكهف كلب، ثم ردد مرات: ذكر المفسرون أيضاً: أنه أسد. (هذه الخطبة ألقاها في الأيام الأخيرة، وهي معروفة ومشهورة).

فلو ذهبنا نتبع الأقوال المرجوحة في تفسير الآيات القرآنية، فربما لاتسلم آية من الآيات، فيتطرق الريب والشك إلى المعاني الصحيحة والراجحة للآيات كلها. وتشير كتب التفاسير إلى قول آخر في ذلك، وهو أنه آدمي.

خلاصة

تبلور هذه البيانات والخطبات أن اتجاه الشيخ محمد سعد في كلماته وبياناته لم يتغير رغم المراسلة الطويلة مع دارالعلوم/ ديوبند، ورغم نشر أبناء رجوعه عنها في الناس على مستوى موسع؛ بل استمر الشيخ على نفس الأسلوب الاجتهادي، والاستدلالات والاستنباطات الخاطئة، وتفسير الآيات القرآنية تفسيراً مرجوحاً؛ بل تفسيرها بالرأي، واستنباط النتائج الخاطئة من قصص الصحابة، وتطبيقها على عمل الدعوة والتبليغ، واعتبار طريقة خاصة عين السنة؛ بل وصفها بأنه من أمر الله تعالى، وسرد الوعيد على تركها، واعتبار الخروج مع جماعة الدعوة والتبليغ ماصدق المصطلح القرآني الخاص (النفر)، ثم اعتبار الخروج مع الجماعة السائد مقصوداً لعينه، والقول بأن لن يتم أمر الله تعالى بترك الخروج السائد المعروف، ثم إيراد أقوال جديدة منقوضة الأساس على أنها نكاث، وأمثال هذه الأمور مستمر صدورها من الشيخ محمد سعد.

كما يتجلى من هذه البيانات والخطبات أن الشيخ محمد سعد قد تكونت له فكرة خاصة، وأنه قد فرض مصداقاً خاصاً للدعوة في ذهنه ونفسه، وفي ضوءه يتأمل في النصوص، ويستنبط منها نتائج باطلة ويسوّقه ويروجها في عامة الناس، ولا سبيل إلى إصلاح هذه الفكرة إلا بأن يتقيد بعلماء الحق في الأمور العلمية، وأن يسلك على المنهج القديم للدعوة والتبليغ في شؤون الجماعة مع تعظيم الذين تربّوا في أحضان كبار الجماعة

الثلاثة، وهو الشيخ محمد إياس، و الشيخ محمد يوسف، والشيخ محمد إنعام الحسن رحمهم
الله جميعًا.

الانطباعات الناشئة عن بيانات وخطبات الشيخ محمد سعد

أود أن أعرض على أهل العلم الانطباعات الناشئة عن بيانات الشيخ محمد سعد وخطباته المسموعة، والكتابات المنشورة من أصحابه وأنصاره، وأحاول أن أورد الكلام بكل حذر وحيطة مشفوعاً مع الإشارة جوانبه اللازم ذكرها، وأرجو أن ينهني أهل العلم على ما إذا صدر مني إفراط أو تفريط بمقتضى البشرية.

- بدأ ينشأ الزعم - بصورة لا شعورية - أن فهم الدين، والقلق عليه، والشعور به، منحصرة في طريقة خاصة من الجهد، وفي نطاق بعينه، ونظراً إلى هذا الزعم ربما ينشأ الشعور بأن الشيخ محمد سعد والمنتسبين إليه يتحولون إلى فرقة بمفردها.
- وأهم وأروع ما ينادي به الشيخ محمد سعد والمنتسبون إليه هو "سيرة الصحابة"، وبدأت نزعة جديدة اليوم قائلة بأن الشيخ محمد سعد برهن على نشاطات الدعوة بالسيرة النبوية ما لم يقم به غيره منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى اليوم، في زعم منهم أنهم يفهمون الدعوة ونشاطاتها في ضوء سيرة الصحابة رضي الله عنهم مباشرة، من غير وساطة شخصيات ظهرت على الساحة في الماضي أو الحاضر. وهذا ما لا يكاد يخلو منه بيان وخطبة له.

لا شك أن سيرة الصحابة محك ومقياس. وعلم الصحابة وعملهم مقياس لمعرفة الحق؛ ولكن لا عبرة إلا بما يأخذه ويستنبطه منها أهل الحق من علماء الأمة. وعلماء الحق يعارضون - على طول الخط - ما يبيده الشيخ محمد سعد من آراء، ويختلفون معه فيها فيما يخص الأخذ والاستنباط من سيرة الصحابة. وقد اتضح اليوم من استنباطاته كالشمس في رائعة النهار أنه - الشيخ سعد - لاعلاقة أو مناسبة له بها، وأن آراءه استنباط عقلي يقوم به من ليس من أهل الفن والبصارة في الموضوع.

يبدو كأن مبادئ الاستنباط والفهم المتبع عند السلف الصالح لا عبرة بها عنده، فأني يتمتع استنباطه أو فهمه للنصوص بالثقة والاعتبار عند غيره من العلماء وفق مبادئه هو؟! فما

يقدمه الشيخ محمد سعد من الآراء والقياسات في تفسير الشريعة وبيانها وشرحها لا تحتل مكانة أو قبولاً كبيراً من المنظور العلمي والفني .

وإن الرجل الذكي الفطن بإمكانه أن يستنبط من كلام الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم ما يتطلبه فكره وذوقه، فمن الناس من يستنبط منها وصفة الكيمياء، ونظريات العلم الحديث ، ولذا قال تعالى: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا} [البقرة/ 26].

إن العزم على الأخذ والاستنباط من سيرة الصحابة مباشرة، وترجيح ما ذهب إليه المرء من غير عرضه على علماء الحق، ثم نشره بين عامة الناس بكل شدة وإصرار، يشكل طريقاً مخوفاً.

فلو استمر الوضع على ما هو عليه، فإن علماء الحق يتخوفون من أن تصير هذه الجماعة مصيرَ الحركات التي قامت بهتاف من الهتافات الإسلامية البراقة في حينها، وصارت إلى مصير غير إصلاحية؛ فإن الإصرار على ما يتفرد به المرء من رأي، يؤدي إلى تفريق كلمة الأمة، والفوضى والفتن والاضطراب فيها لا محالة، مما يشهد به التاريخ.

وسبق أن نادى منادٍ في الأمة بمثل هذه الهتافات المعسولة، وبالتالي فتتسبب منها بالعناوين البراقة، واعتزلها الأذكياء وأولو الألباب، كما انفصل منها من انفصل وقام في وجهها وقاومها، وأحدثت فتن التخريب والاختلاف بالأمة.

ومذهب أهل الحق وذوقهم الحذر في ذلك يتمثل فيما أشار إليه المجدد الأول وهو

سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله، حيث قال:

”قدموا آراء من قبلكم؛ فإنهم كانوا أتبعكم للسنة، وأعلمكم“.

وعليه نجد كل نبي يؤيد ويصوب ويوثق، ويستحسن من سبقه من الأنبياء، وقس عليه ورثة الأنبياء، استمروا على تأييد وتكريم وتصويب واتباع من سبقهم من المجددين، على العكس من الفلاسفة فلا يأتي أحد منهم إلا رد من سبقه من الفلاسفة وانتقص منهم؛ بل عدَّ رد من سبقه من الفلاسفة والتنكر لهم من لوازم ترويح نظرياته وأفكاره.

- وتنشأ- بسرعة رهيبه- نزعةً قائله بتعذر الثقة والاعتماد على العلماء الآخرين في شؤون الدعوة، فلا مساغ للرجوع إلى عالم آخر في خصوص الدعوة، فإما أن يجتهد أو يرجع إلى من يكون على صلة بجماعة الدعوة من العلماء، في حين أن العلماء ذوي صلة بالشيخ محمد سعد والذين يطلق عليهم ”كبار العلماء“ ذهبوا - دفاعاً عن الشيخ - في تفسير الآيات والأحاديث مذهباً لانسميه إلا ”خيانة علمية“ أو أن ذلك مبلغهم من العلم.
 - قد نشأ سوء الفهم؛ بل سوء الظن بشعبة عظيمة من شعب الدين وهي السلوك والتصوف و الإحسان، فيرى هؤلاء أن الصوفية والأولياء الكرام قد تركوا الدعوة عن وعي أو غير وعي، وربما يسلم منه بعض أهل العلم الذين يلزمون جانب الحذر، وإلا فإن الغالبية منهم لا تخلو منه.
- رغم أن التصوف وسلاسلها الأربع ثبت أصلها بالكتاب والسنة، ولم يتخلف عنه المتقدمون ولا المتأخرون من السلف إلى الخلف، حتى كان منهم من تسميهم الأمة بـ ”المجدد“.
- وإن الرد على التصوف وإنكاره قد وصل أمره إلى الطعن في الصالحين. وقد سمعنا أحد العلماء ذوي الصلة بالشيخ محمد سعد يقول قولاً لا يسعنا نقله هنا، ولكن نظراً إلى مبدأ ”نقل الكفر لن يكون كفراً“، نكتفي بسرده جملة واحدة:
- ”إن الأولياء والصوفية قد ضربوا الدين ضرباً ضرراً (والعياذ بالله منه) يُوجب نبش قبورهم، ومعاقتهم على أنهم أكبوا على الراحة والنعيم، في حين كانت الأمة تقع في هاوية من الضلال“.
- ومن الانطباعات أن الذين بلغوا مكانةً عاليةً من العلم والعلم، والفكر والإخلاص، والتبحر و التدين والدين، والذين يصدق عليهم ”شاب نشأ في عبادة الله“ بدأوا ينصرفون عنهم و يعتزلونهم.
 - ويذكر الشيخ سعد مخالفه فكأنه- حين يرد عليهم - يصنف نفسه ضمن الأنبياء، ويرى خصومه من طبقة الكفار والمنافقين، فيوحي ذلك- بعض الأحيان - إلى تعديه حد الاعتدال، وتجاوزه منصبه بصفته أسوة وقدوة، والخروج عنه.

- وظنوا أنه- الشيخ سعد- قد أصبح إماماً ومحدثاً وفقهياً ومفسراً؛ بل مجدداً، وإذا من المستحيل أن يكون أتباعه بمنجاة من تسرب تفرداته وأفكاره إليهم تلقائياً بعد أن رفعوه إلى منصب التجديد والإمامة. وبالتالي لن تشهد الجماعة إلا الضعف والضرر، ولن تشهد الأمة إلا التفرق والفوضى.
- تصدر من الفئة ذات الصلة بالشيخ محمد سعد كتاباتٌ وبيانات- بصورة متتالية- تتضمن كلمات التشفي، وما تهواه النفس، والطعن والتشنيع؛ بل الدعاء على الناس، بكثرة جداً. وإن ما يحتويه مضامينها من الكلمات النابية والعنوانات السمجة الشنيعة يوحى إلى طبيعة و مذاق من نوع بعينها، وهم يتحاشون عن الحديث الجاد حول أصل الموضوع.
- والذي له مسكةٌ من معرفة مذاق السلف الصالح، وجمهور الأمة، وأهل الحق والسواد الأعظم يلقي بونا شاشعاً بينه وبين تفكير ومذاق الشيخ محمد سعد وأنصاره.
- ويصدرون أحياناً إعلاناتٍ حذرة، ولكن الحقيقة أن نظريات الفرد أو الجماعة لا تتجلى- في الواقع- في الإعلانات الصادرة منها بأسلوب حذر؛ بل المحك الحقيقي لذلك إنما هو موقف وسلوك الشخصيات ذات الصلة، وعلمها وفهمها، وثقة كبار أهل العلم بها.
- فالأمور العلمية المصطلحة التي كان العلماء يختصن بفهمها ولا صلة لعامة الناس بها؛ بل ينعكس عليهم سلباً، بدأوا يتعرضون لها في التجمعات الشعبية التي تجهل مبادئ العلوم، فأنى لها أن تتمكن من مصطلحات الحديث والفقه.
- إنهم يخالفون سواد الأمة الأعظم قائلين بأن موقف المسلمين من الدعوة لم يكن حقاً ليومنا هذا، فكأنهم فتحوا باب الإنكار والتخطئة.
- حذارٍ أن تغتروا بكثرة عامة الناس والتجمعات الموسعة؛ فإن الحديث الشريف يشير إلى أن القبول ينشأ من الخواص إلى عامة الناس، وليس العكس، بحيث ينتقل القبول والشعبية من العامة إلى الخاصة.

أعتذر من إطالة الكلام، وأستغفر الله تعالى إن تجاوزت الحدود، غفر الله تعالى لنا جميعاً، و تجاوز عن أخطائنا ونبهنا على زلاتنا، و وفقنا للسير على الطريق المستقيم.

خلاصة

إن ثقة علماء الحق بدأت تتزعزع من جراء أسلوب التفكير الذي يتبعه الشيخ محمد سعد وأتباعه، فإذا سمع العامي أن الصالحين كانوا صوفية، لا أنصاراً للدين، وأن الدعوة هي المشي بها بين الناس، وأن الدعوة هي النصرة للدين، وأن المساعدة المالية ليست نصرة للدين، وأن الرجوع من المركز ارتداد، وأن الإعراض عن المشورة أشد من التولي يوم الزحف، وأن الصالحين ذوو كرامات، لا ذوو جهود ومساعٍ، وأنه يجب فهم الدعوة في ضوء السيرة مباشرة، و أن ذكر الشخصيات الماضية أو الحاضرة تدحرج من المكان العالي؛ فإن هذه الأمور من شأنها أن تمهد الأرضية للإعجاب بالرأي، بالإضافة إلى أنها تُثير في نفس المرء الزعم أنه هو الداعي حقاً.

كلمة أخيرة

دين الإسلام دين متكامل لا يقبل التبديل والتغيير علماً أو عملاً، ويستحيل أن يتسرب إلى حصاره العلمي نظريةً أجنبيةً أو علمٌ أجنبي، كما لا يسع عملاً آخر أن يتوغل في حرمة العملي، فكل علم ونظرية فيه واضح أبلج، وكل عمل من أعماله محدد ومرسوم. فإن حاول شيءٌ التوغل فيه عبر العلم والعقيدة؛ فإنه يطبع عليه بطابع من البدعة والضلالة، ويُطرد طرداً، وإن توغل إليه شيء عبر العمل، رُسم بالبدعة والفسق، ورُدَّ و ضربَ به عرض الحائط. يقول الله تعالى:

{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء / 115].

تدُّ الآية الكريمة على أن الانحراف عما شرعه الله تعالى لرسوله في العلم والعمل، وما يسير عليه أهل الإيمان كلهم، مخوف وخطير. ولا يأمن الخطر من انحراف في بعض

الأشياء أو انحرف بعض الانحراف. وإن الانحراف البسيط عن القرآن والسنة وعمّا عليه جمهور الأمة مبعث خطر شديد لصاحبه.

إن الذي يتلبس بالإثم ويعلم أنه إثم، لا يضل ولا يندفع به غيره، فهو وغيره على علم بأن صاحبه يرتكب خطيئة وإثمًا، وأما من انحرف عن الصراط المستقيم وهو يزعم أنه على علم و تحقيق، ويحاول بقوة عقله وفكره الإقناع بأنه ترجمة للدين الحق وبيانه له، فإنه يقع فريسة للضلال والغواية، كما يندفع به غيره، فإنه لا يلفظ من قول ولا يأتي من فعل إلا وهو يعتبره بيانًا للدين وشرحًا له، وإن الخروج من الإثم وتوقيه سهلٌ ويسير، وأما الخروج من هذا الجهل فعسير، فالطريق السوي هو الذي سارت عليه الأمة، وسلكه العلماء والصلحاء، وسلكه الفقهاء والمحدثون، وهو طريق واضح أبلج، مرسومة كل مرحلة من مراحلها، وكل منزل من منازلها، لا يخفى ذلك على أحد من الناس. ويجب أن نأخذ قلوبنا به ونستقيم عليه، وإلا فلا يدري إلا الله تعالى إلى أين سيصل ركب الحياة، وقافلة العلم والعمل؟ فالانحراف - قليلاً كان أو كثيرًا - انحراف ذو خطر.

نحن نعيش في هذا العصر الفتن، نرى الرجل الذكي الفطن ينهض، ويشق طريقًا جديدًا، وينحرف بعض الانحراف عن سبيل المسلمين، قد يبدو هذا الطريق الجديد معصومًا وغير ضار، ويتغاضى عنه حتى العلماء من أولي الأبصار. ثم يمتد هذا الطريق ويشهد التطور، فيشعر المرء بأنه أخذ يتحول إلى طريق يعارض الدين، ثم يبدأ النكير عليه، فيشكل فتنة أي فتنة، فتنسب هذه الفتنة إلى ذلك الفرد أو الفئة التي وصفت الانحراف بالانحراف، واعتبرت الضلال ضلالًا، مع أن الانحراف والزيف في الجانب الآخر.

لقد رسمت الشريعة الإسلامية حدودًا للأحكام والأعمال والعقائد والنظريات كلها، فللأعمال حدود ورسوم، وللعقائد مثل ذلك، فيبقى الدين والشريعة على الاعتدال والتوازن ما بقيت هذه الحدود واستمرت، فإذا تُلِمَّتْ هذه الحدود والثغور، انفتح الباب إلى التحريف في توجيهات الدين.

تجاوز الحدود هو الغلو، والغالي يرتكب التحريف في الدين والعلم.

لقد قيَّض الله تعالى في كل عصر علماءً مخلصين متضلعين من العلوم، ينفون الغبار العالق من الغلو والتحريف والإحالات الخاطئة، والتاويلات الباطلة عن وجه العلم الصحيح و الدين الصادق، وبالتالي يقومون بجلائه وتنقيته. ولقد خلق الله تعالى أهلَ علم مسؤولين عن الإبقاء على الدين على وجهه الحق، ولذا ظل الدين الإسلامي نقيًا واضحًا على صورته الحقيقية رغم مرور المدة الطويلة عليه. كما أن العين إذا دخلها تبنٌ أدرك الجسد أن شيئًا غريبًا قد دخل العينَ ، وقس عليه أن نظريةً واحدة - مهما بلغت من الروعة والخفة- إذا لبست لباس الدين وأوغلت فيه، فإن المجتمع الإسلامي يفتن لها. وأمثال هؤلاء العلماء والصلحاء مستمر تواجدهم، لم ولن ينقطع أبدًا، ومكانتهم عالية جدًا عند الله تعالى. (مستفاد من "علوم ونكات").

العبد

خضر محمود القاسمي

خريج دارالعلوم / ديوبند

2/ يناير عام 2018م،

الجوال و واتس أب: 9538740400.

فهرس الموضوعات

المؤلف في سطور

موقف دارالعلوم من الشيخ محمد سعد

علماء ديوبند والحفاظ على الدين

ثلاثة اقتباسات هامة من موقفهم

اتجاهات بعض خريجي دارالعلوم المنافية لهذا الموقف

مقال منسوب إلى الشيخ محمد سلمان المظاهري ودراسته دراسة موجزة

خلفية موقف دارالعلوم/ ديوبند

موقف دارالعلوم/ ديوبند الحذر

طلب دارالعلوم/ ديوبند من الوفد القادم من "بنغله والي مسجد" - مركز نظام الدين -

ردة فعل غير لائقة من الوفد القادم من مركز نظام الدين على موقف دارالعلوم

دارالعلوم/ ديوبند تتبع أسلوبًا حذرًا فيما يخص الرد على الاستفتاءات الخاصة بالشيخ محمد

سعد.

بلغ السيل الزبي

من أهم أسباب اعتزال بعض كبار مسؤولي الدعوة والتبليغ الشيخ محمد سعد

ما الذي حال دون إصدار موقفها في الأيام الماضية؟

لم تستهدف دارالعلوم/ ديوبند إلا الحفاظ على الدين وإصلاح الأمة

حديث الشيخ أرشد المدني مع الوفد، وموقف بعض الفضلاء الموسف

أول كتاب من الشيخ محمد سعد ردًا على موقف دارالعلوم/ ديوبند

عود على بدء

أول كتاب منه يتهم مشايخ دارالعلوم/ ديوبند بالخيانة، وسوء الظن، ومعارضة نشاطات

الدعوة.

خطبة ألقاها في 18 / ديسمبر عام 2017م، بعد المغرب

خطبة ألقاها في 18 / ديسمبر عام 2017م بعد صلاة المغرب

خطبة ألقاها في 18 / ديسمبر عام 2017م بعد صلاة المغرب

خطبة ألقاها في 18 / ديسمبر عام 2017م، تعليم الصحابة، بعد صلاة العشاء

خطبة ألقاها في 18 / ديسمبر عام 2017م بعد صلاة المغرب

خطبة ألقاها في 23 / ديسمبر عام 2017م

خطبة ألقاها في 19 / يوليو عام 2017م

قول الشيخ محمد سعد لم يكن لأصحاب الكهف كلب؛ بل أسد

خلاصة

الانطباعات الناشئة من بيانات وخطبات الشيخ محمد سعد

خلاصة

كلمة أخيرة